العقيدة في ضوء الكتاب والسنة

٥

اليوم الآخر

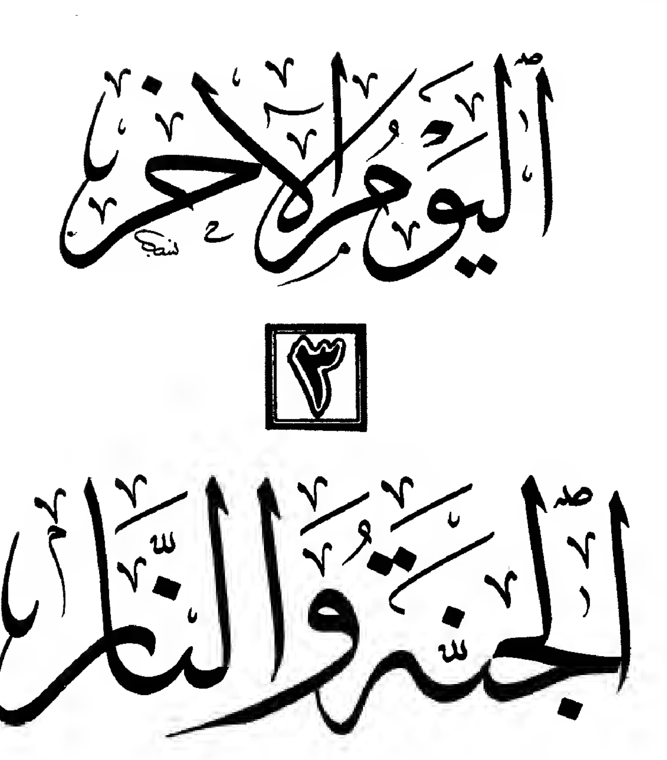
٣

الجنة والنار

الدكتور عمر سليمان الأشقر



العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٥)



تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر



٢٥٤ و ٢٤١
عمر

عمر سليمان الأشقر

اليوم الآخر . الجنة والنار . عمر سليمان الأشقر

ط ٤ . عمان : (د . ن) ١٩٩١

(٢٧٨) ص

ر . أ ١٩٩٠/١٠/٧٢٦

١ ـ الإسلام . عقيدة .   أ ـ العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

الطّبعَة السّابعَة

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



دار النفائس

للنشـــر والتوزيـــع

الاردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس

هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩ ـ ص .ب : ٢١١٥١١

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الجنة والنار ، وخلق لكل واحدة منهما أهلا وأصحابا ، وجعل الجنة دار أوليائه ، والنار دار أعدائه . والصلاة والسلام على خاتم رسله ، وأشرف خلقه الذي جاء إلى الجنة داعيا ، وفي نعيمها مرغبا ، ومن النار وعذابها مخوفا ومحذرا ومرهبا .

وأصلي وأسلم على آل الرسول وصحبه وتابعيهم بإحسان الذين أعدوا للأمر عدته ، وأخذوا له أهبته ، فأسهروا ليلهم يصلون ، ويستغفرون ، ويناجون الله ، ويرتلون كتابه ، وأظمؤوا نهارهم تقربا إلى الله بالصيام لأنهم علموا أن الأمر جد ، ولا نجاة من النار ، ولا فوز بالجنة إلا بالتشمير عن ساعد الجدّ ، وبعد :

فهذا هو القسم الثالث من أقسام اليوم الآخر ، وهو حديث عن الجنة والنار .

وقد جعلنا هذا القسم في بابين .

الباب الأول حديث عن النار ، وقد تم هذا الباب في عشرة فصول ، يسبقها تمهيد .

أما التمهيد فهو تعريف بالنار .

والفصل الأول عقدناه للتدليل على عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الجنة والنار مخلوقتان ورددت فيه على من زعم خلاف ذلك من أهل الفرق .

والفصل الثاني حديث عن خزنة النار ، وهم الملائكة القائمون على النار ،وبيان عددهم وعظم خلقهم .

والفصل الثالث وصف للنار ، وفيه حديث عن مكانها ، وسعتها ، ودركاتها ، وأبوابها ، ووقودها ، وشدة حرها ، وكلامها ، وصفة خلقها ، وتأثيرها على الدنيا وأهلها .

والفصل الرابع سقناه للتدليل على أنها خالدة لا تبيد ، ورددنا فيه على الذين زعموا أنها تفنى وتبيد .

وفي الفصل الرابع حديث عن أهل النار وهم فريقان : فريق خالد فيها ، وهم الكفرة المشركون ، وفريق غير خالد وهم عصاة الموحدين . وقد تحدثنا عن كلا الفريقين ، وذكرنا شيئا من جرائمهم التي استحقوا بها النار .

وفي الفصل السادس حديث عن كثرة أهل النار ، وسقنا النصوص الدالة على كثرة الهالكين ، وقلة الناجين ، والسر في ذلك . وفي هذا الفصل مبحث للحديث عن النساء وأنهن أكثر أهل النار ، وبيان السبب في كونهن كذلك .

وفي الفصل السابع بيان لعظم أهل النار وضخامة خلقهم .

والفصل الثامن مخصص للحديث عن طعام أهل النار وشرابهم .

والفصل التاسع فصل طويل مسوق للحدث عن عذاب أهل النار ، وقد سقت فيه صورا من عذابهم ، كما بينت أن أهل النار متفاوتون في عذابهم في النار ، ثم ذكرت شيئا من أنواع العذاب الذي أعده الله لهم ، ومنه الصهر ، واللفح ، والسحب ، وتسويد الوجوه ، وانضاج الجلود ، واندلاق الأمعاء ، واطلاع النار على أفئدتهم ، كما سقت النصوص المبينة لقيودهم وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم التي يعذبون بها .

والفصل العاشر والأخير عقدته لبيان السبل التي يتقي بها العباد نار الله .

والباب الثاني عقدته للحديث عن الجنة ، وفيه سبعة فصول ، يسبقها تمهيد . أما التمهيد فللتعريف بالجنة .

والفصل الأول عقدته لدخول الجنة ، بينت فيه مشهد دخول المؤمنين الجنة ، وشفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين في دخولها ، وكيف يدخلها المؤمنون بعد تهذيبهم وتنقيتهم ، وتحدثت فيه عن أول المؤمنين دخولا الجنة ، وعن السبعين ألفا من هذه الأمة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وصفتهم وعن سبق فقراء المهاجرين أغنياءهم إلى الجنة ، وعقدت مبحثا طويلا لبيان أن عصاة الموحدين الذين دخلوا النار يخرجون منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشفاعين ، وبينت مذهب أهل السنة من هذه الشفاعة ، ورددت على الذين أنكروها وردوها ، وختمت هذا الفصل بمبحثين : الأول عن آخر من يدخل الجنة ، والثاني عمن دخل الجنة قبل يوم القيامة .

والفصل الثاني سقته للتدليل على أنَّ الجنة خالدة وأهلها فيها خالدون ، وللرد على من زعم خلاف ذلك .

والفصل الثالث في صفة الجنة ، وقد تحدثنا فيه عن عظم نعيمها ، وأبوابها ، ودرجاتها ، وتربتها ، وأنهارها ، وعيونها ، وقصورها ، ونورها ، وريحها ، وأشجارها ، وثمارها ، وريحانها ، ودوابها .

والفصل الرابع حديث عن أهل الجنة والأعمال التي استحقوا بها الجنة ، وكيف يرث أهل الجنة نصيب أهل النار في الجنة ، وبيان أن الضعفاء في الجنة أكثر من الأغنياء ، وأن الرجال أكثر فيها من النساء ، وحققت القول في مسألة دخول أطفال المؤمنين وأطفال المشركين الجنة ، ومن المباحث الذي تضمنها هذا الفصل ذكر سادة أهل الجنة كهولا وشبانا ونساء ، وذكر العشرة المبشرين بالجنة ، وذكر

أسماء بعض من نص على أنه في الجنة ، وختمت هذا الفصل بذكر أن الجنة ليست ثمنا للعمل ، بل العمل سبب لدخول الجنة ، ونيل الجنة إنما هو برحمة الله وفضله .

والفصل الخامس حديث عن صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها .

وأطول فصول هذا الباب الفصل السادس الذي عقدته للحديث عن نعيم أهل الجنة ، وبينت فيه فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا . وتحدثت فيه عن تمتع أهل الجنة بأنواع الطعام والشراب ، كما تحدث عن فرشهم وخدمهم وسوقهم وآنية طعامهم وشرابهم ، وعن اللباس الذي يلبسونه ، والأماني التي يتمنونها ، فتتحقق على صورة عجيبة غريبة ، ليس لها في الدنيا نظير .

وعقدت مبحثا في هذا الفصل للحديث عن أزواج المؤمنين في الجنة ، سواء كن من الحور العين أم أزواجهم من نساء الدنيا .

وبينت في هذا الفصل أن أعظم ما يعطاه المؤمنون في الجنة رضوان الله عز وجل ، ولذة النظر إلى وجهه الكريم ، ومن النعيم في دار النعيم تسبيح المولى وتقديسه وتكبيره .

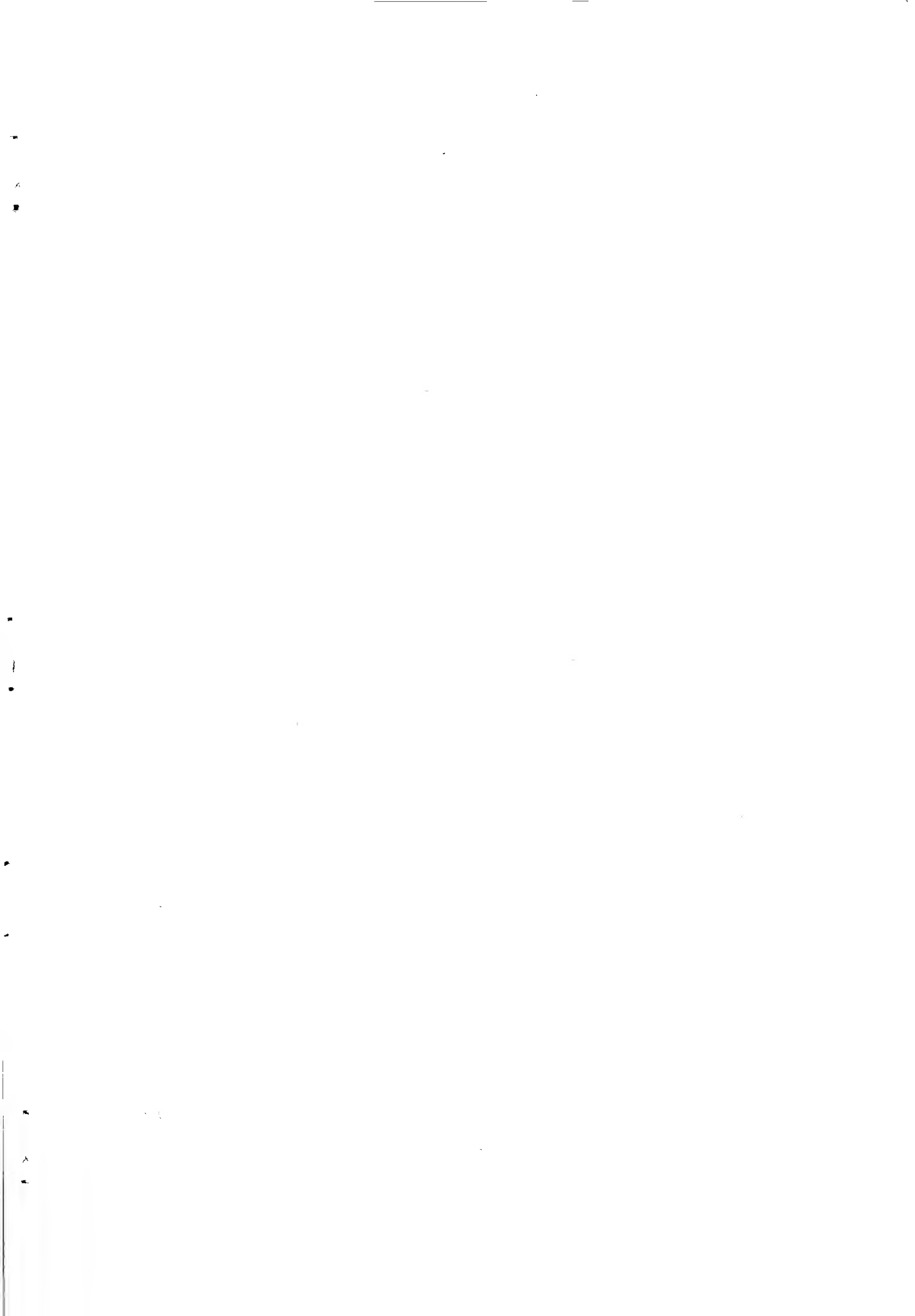
والفصل السابع والأخير فيه حديث عما جرى من محاجة بين الجنة والنار وحكم الله بينهما .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بطاعته ، وأن ينجينا من النار بمنه وكرمه ، وأن يدخلنا الجنة برحمته وفضله ، إنه سميع مجيب قريب ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

عمر سليمان الأشقر
الكويت
١٩ من رمضان ١٤٠٦
١٩٨٦/٥/٢٧

الباب الأول

النار



تمهيد: تعريف وبيان

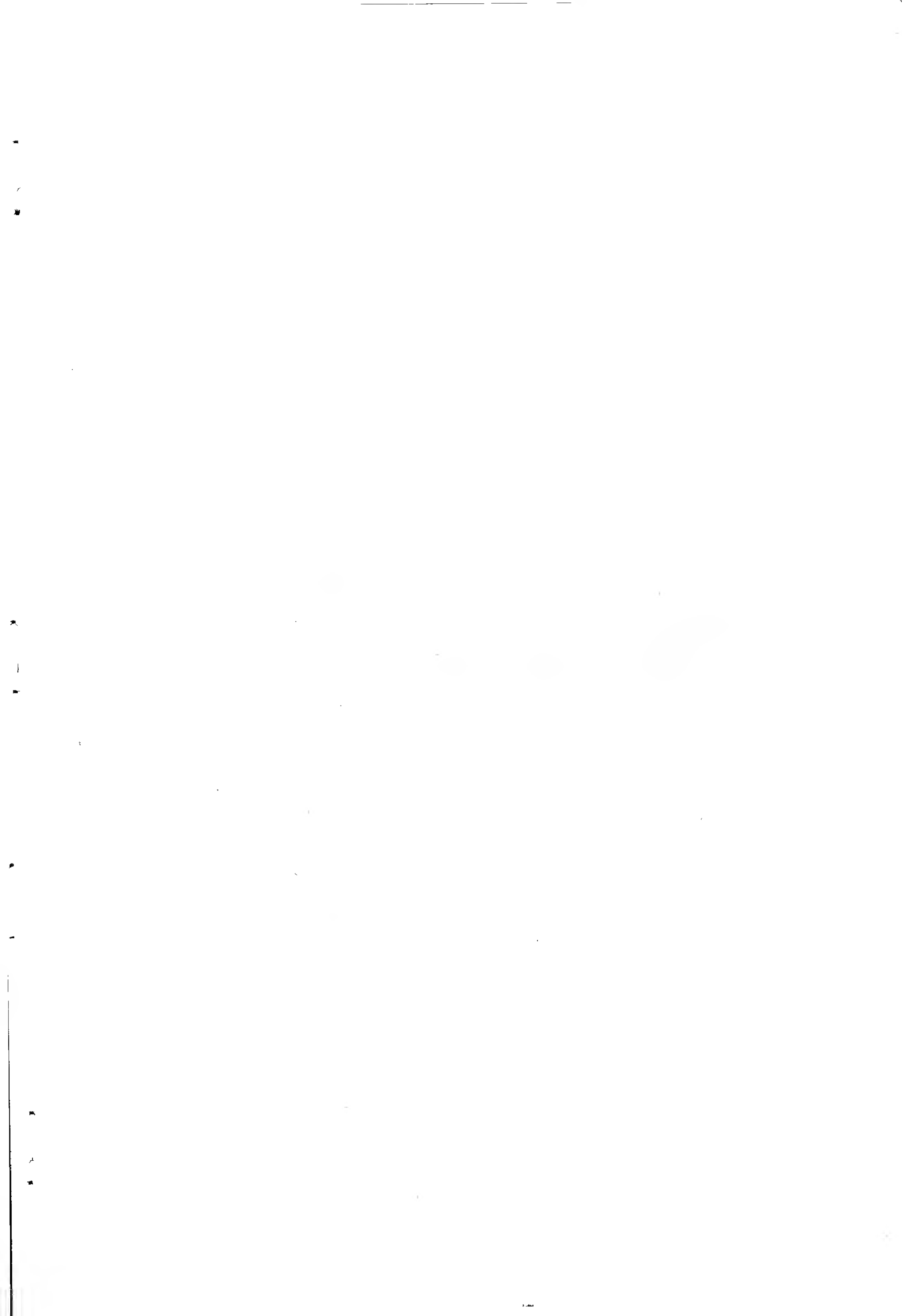
النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به ، المتمردين على شرعه ،المكذبين لرسله ، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه ، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين .

وهي الخزي الأكبر ، والخسران العظيم ، الذي لا خزي فوقه ، ولا خسران أعظم منه ، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] ، وقال : ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[3] .

وكيف لا تكون النار كما وصفنا وفيها من العذاب والآلام والأحزان ما تعجز عن تسطيره أقلامنا ، وعن وصفه ألسنتنا ، وهي مع ذلك خالدة وأهلها فيها خالدون ، ولذلك فإن الحق أطال في ذم مقام أهل النار في النار ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[4] ، ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٢ .
(٢) سورة التوبة : ٦٣ .
(٣) سورة الزمر : ١٥ .
(٤) سورة الفرقان : ٦٦ .
(٥) سورة ص : ٥٥ ـ ٥٦ .



الفصل الأول

الجنة والنار مخلوقتان

قال الطحاوي في العقيدة السلفية التي تنسب إليه المعروفة بالعقيدة الطحاوية : « والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له ، وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدّران على العباد » .

وقال محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في شرحه لهذا النصّ :

« أما قوله : « إن الجنة والنار مخلوقتان » ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك معطلة . وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصير معطلةً مددا متطاولة . فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وبدّعوا من خالف شريعتهم » .

ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أنهما مخلوقتان ، « فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2]، وعن النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[4]. وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[5]. وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى . كما في « الصحيحين » ، من حديث أنس رضي الله عنه ، في قصة الإسراء ، وفي آخره : « ثم انطلق بي جبرائيل ، حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ماهي ، قال : ثم دخلت الجنة ، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

وفي « الصحيحين » من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . وتقدم حديث البراء بن عازب[6]، وفيه : « ينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روَحها وطيبها » . وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء .

وفي « صحيح مسلم » ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكرت الحديث ، وفيه : وقال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٢) سورة الحديد : ٢١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٣١ .
(٤) سورة النبأ : ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) سورةالنجم : ١٣ ـ ١٥ .
(٦) تقدم في كتاب : « القيامة الكبرى »

« رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به ، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني تقدّمت . ولقد رأيت النار يَحْطِم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت » .

وفي « الصحيحين » ، واللفظ للبخاري ، عن عبدالله بن عباس ، قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، وفيه : فقالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك ، ثم رأيناك تكعكعت ؟ فقال : « إني رأيت الجنة ، وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار ، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » ، قالوا : بم ، يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهرَ كله ، ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت خيراً قط » .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس : « وأيم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيت ، لضحكتم قليلا وبكيتم كثيراً » . قالوا: وما رأيت يا رسول الله ؟ قال . « رأيت الجنة والنار » .

وفي « الموطأ والسنن » ، من حديث كعب بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما نسمة المؤمن طيرٌ تعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة »[1] . وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة .

وفي « صحيح مسلم والسنن والمسند » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة والنار ، أرسل جبرائيل إلى

---

(١) قال محقق الطحاوية : صحيح .

الجنة ، فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال : وعزتك ، لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة ، فحفَّت بالمكاره ، فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال : فنظر إليها ، ثم رجع فقال : وعزتك ، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

قال : ثم أرسله إلى النار ، قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها ، فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، ثم رجع فقال : وعزتك ، لايدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها ، فرجع فقال : وعزتك ، لقد خشيت أن لاينجو منها أحد إلا دخلها » . ونظائر ذلك في السنة كثيرة[١] .

وقد عقد البخاري في صحيحه بابا قال فيه : « باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة[٢] وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجنة مخلوقة ، منها الحديث الذي ينص على أن الله يُري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة والنار ، وحديث إطلاع الرسول ﷺ على الجنة والنار ، وحديث رؤية الرسـول ﷺ لقصر عمر بن الخطاب في الجنة ، وغير ذلك من الأحاديث ، وقد كان ابن حجر مصيبا عندما قال : « وأصرح مما ذكره البخاري في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لماخلق الله الجنة ، قال لجبريل : « اذهب فانظر إليها »[٣] .

---

(١) شرح الطحاوية : ٤٧٦ ـ ٤٧٨ .
(٢) في كتاب بدء الخلق ، انظر فتح الباري : (٦/٣١٧) .
(٣) فتح الباري : (٦/٣٢٠) .

شبهة من قال النار لم تخلق بعد

وقد ناقش شارح الطحاوية شبهة الذين قالوا : لم تخلق النار بعد ورد عليها فقال :

« وأما شبهة من قال أنها لم تخلق بعد ، وهي : أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت ، لقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2] ، وقد روى الترمذي في جامعه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرىء أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبةُ الماء ، وأنها قيعان ، وأن غِرَاسها سبحان الله ، والحمدلله ، ولا إله إلا الله والله أكبر »[3] . قال : هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضا من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « من قال سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة »[4] ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : فلو كانت مخلوقةً مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغراس معنى . قالوا : وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾[5] .

فالجواب : إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور

---

(١) سورة القصص : ٨٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٣) قال الشيخ ناصر في تعليقه على شرح الطحاوية ص : ١٠٦ وهو مخرج في الصحيحين .
(٤) وقال أيضا في هذا الحديث : صحيح ، وهو مخرج في المصدر السابق : ٦٤ .
(٥) سورة التحريم : ١١ .

وقيام الناس من القبور ، فهذا باطل ، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر ، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئا بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر - فهذا حق لا يمكن رده ، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] ، فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن - نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما !! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية ، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام . فمن كلامهم : أن المراد « كل شيء » مما كتب الله عليه الفناء والهلاك « هالك » ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، وكذلك العرش ، فإنه سقف الجنة .

وقيل : المراد إلا ملكه . وقيل : إلا ما أريد به وجهه . وقيل : إن الله تعالى أنزل : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2] ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، وطمعوا في البقاء ، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون ، فقال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة ، الدالة على بقاء الجنة ، وعلى بقاء النار أيضا ، على ما يذكر عن قريب ، إن شاء الله تعالى »[4] .

---

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن : ٢٦ .

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

(٤) شرح الطحاوية : ص ٤٧٩ ، وراجع في هذا الموضوع « يقظة أولى الاعتبار لصديق حسن خان ص : ٣٧ ، وعقيدة السفاريني : (٢/ ٢٣٠) .

الفصل الثاني

خزنة النار

يقوم على النار ملائكة ، خلقهم عظيم ، وبأسهم شديد ، لا يعصون الله الذي خلقهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] .

وعدتهم تسعة عشر ملكا ، كما قال تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[2] ، وقد فتن الكفار بهذا العدد ، فقد ظنوا أنه يمكن التغلب على هذا العدد القليل ، وغاب عنهم أن الواحد من هؤلاء يملك من القوة ما يواجه به البشر جميعا ، ولذلك عقب الحق على ما سبق بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[3] .

قال ابن رجب : « والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

(٢) سورة المدثر : ٢٦ ـ ٣٠ .

(٣) سورة المدثر : ٣١ .

حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم ، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته »[1] . وهؤلاء الملائكة هم الذين سماهم الله « بخزنة جهنم » في قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] .

(١) التخويف من النار : ص ١٧٤ .
(٢) سورة غافر : ٤٩ .

الفَصْل الثالث

صفة النار

المبحث الأول

مكان النار

اختلف العلماء في موقع النار الآن ؛ فقال بعضهم : هي في الأرض السفلى ،وقال آخرون :هي في السماء ،وقال آخرون بالتوقف في ذلك . وهو الصواب ، لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها ، ومن الذين توقفوا في هذا ،الحافظ السيوطي قال : « وتَقِفُ عن النار ، أي تَقُولُ فيها بالوقف ، أي محلها ، حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك »[١] .

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي في عقيدته : « ولم يصرح نص في تعيين مكانها (أي الجنة والنار) ، بل حيث شاء الله تعالى ، إذ لا احاطة لنا بخلق الله وعوالمه »[٢] ، وقال صديق حسن خان عقب إيراده لقولِ الدهلوي هذا : « أقول : وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى »[٣] .

---

(١) يقظة أولي الاعتبار ، لصديق حسن خان : ص ٤٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٣) المصدر السابق .

المبحث الثاني
سعة النار وبعد قعرها

النار شاسعة واسعة ، بعيد قعرها ، مترامية أطرافها ، يدلنا على هذا أمور :

الأول : الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضخم حتى يكون ضرسه في النار مثل جبل أحد ، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام ، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عظم خلقهم ، ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] . إن النار تشبه الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكل ولا تمل ، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظارا للمزيد . وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار : « إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار ، فلا تمتلىء حتى يضع رجله ـ وفي رواية حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله ـ فتقول : قط قط ، فهنالك تمتلىء ، ويُزْوى بعضها إلى بعض ، ولايظلم الله من خلقه أحداً » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة[2] .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من

---

(١) سورة ق : ٣٠ .
(٢) جامع الأصول : (١٠/٥٤٤) .

مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط ، بعزتك وكرمك » متفق عليه[1] .

الثاني : يدل على بعد قعرها أيضا أن الحجر إذا ألقي من أعلاها احتاج إلى آماد طويلة حتى يبلغ قعرها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ سمع وَجْبَةً[2] ، فقال النبي ﷺ « تدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا ، فهو يهوي في النار إلى الآن »[3] .

وروى الحاكم عن أبي هريرة ، والطبراني عن معاذ وأبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « لو أن حجرا مثل سبع خلفات ، ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها »[4] .

الثالث : كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة ، فقد وصف الرسول ﷺ مجيء النار في يوم القيامة ، الذي يقول الله فيه : ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[5] ، فقال : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك » . رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود[6] . ولك أن تتخيل عظم هذا المخلوق الرهيب الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشدّاء الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى .

---

(١) مشكاة المصابيح : (٣/١٠٩) .

(٢) أي سقطة .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الجنة ، باب في شدة حر النار ، (٤/٢١٨٤) ، ورقمه (٢٨٤٤) .

(٤) صحيح الجامع الصغير : (٥/٥٨) ، ورقمه ٥١٢٤ ، وإسناده صحيح .

(٥) سورة الفجر : ٢٣

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ، باب في شدة حرّ جهنم (٤/٢١٨٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٤٢

الرابع : ومما يدل على هول النار وكبرها أن مخلوقين عظيمين كالشمس والقمر يكونان ثورين مكورين في النار ، ففي « مشكل الآثار » للطحاوي عن سلمة بن عبدالرحمن قال : حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة». ورواه البيهقي في كتاب « البعث والنشور » وكذا البزار والإسماعيلي والخطابي ، بإسناد صحيح ، على شرط البخاري ، وقد أخرجه في صحيحه مختصرا بلفظ : « الشمس والقمر مكوران في النار »[1] .

(١) أورد الشيخ ناصر الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٣٢) . ورقم الحديث : ١٢٤ ، وقد نقلنا تحقيقه للحديث مختصرا .

المبحث الثالث
دركات النار

النار متفاوتة في شدة حرّها ، وما أعده الله من العذاب لأهلها ، فليست درجة واحدة وقد قال الحق تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] . والعرب تطلق : « الدرك » على كل ما تسافل ، كما تطلق : « الدرج » على كل ما تعالى ، فيقال : للجنة درجات وللنار دركات ، وكلما ذهبت النار سفلا كلما علا حرّها واشتد لهيبها[2] ، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب ،ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار .

وقد تسمى النار درجات أيضا ، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ، ثمَّ قال : ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[3] ، وقال : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ . .﴾[4] ، قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : « درجات الجنة تذهب علوا ، ودرجات النار تذهب سفلا »[5] . وقد ورد عن بعض السلف أن عصاة الموحدين ممن يدخلون النار يكونون في الدرك الأعلى ،ويكـون فـي الدرك الثاني اليهود ، وفي الدرك الثالث النصارى ، وفي الدرك الرابع الصابئون ، وفي الخامس المجوس ،

---

(١) سورة النساء : ١٤٥ .

(٢) راجع تذكرة القرطبي : ص ٣٨٢ ، والتخويف من النار ، لابن رجب : ص ٥٠ .

(٣) سورة الأنعام : ١٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٥) التخويف من النار ، لابن رجب : ص : ٥ .

وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون[1] . ووقع في بعض الكتب تسمية هذه الدركات : فالأول جهنم ، والثاني لظى ، والثالث الحطمة ، والرابع السعير ، والخامس سقر ، والسادس الجحيم ، والسابع الهاوية .

ولم يصح تقسيم الناس في النار وفق هذا التقسيم ، كما لم يصح تسمية دركات النار على النحو الذي ذكروه ، والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التي ذكروها : جهنم ، لظى ، الحطمة .. الخ اسم علم للنار كلها ، وليس لجزء من النار دون جزء ، وصح أن الناس متفاوتون على قدر كفرهم وذنوبهم .

(١) إذا كان هذا التقسيم اجتهادي بحسب فقهنا للنصوص الدالة على شدة جرم الفرق المختلفة فإن هذا الترتيب الذي ذكروه يحتاج إلى إعادة نظر ، فالمجوس عباد النيران ليسوا بأقل جرما من مشركي العرب ، والأولى أن نسكت فيما سكتت عنه النصوص .

المَبحث الرابع
أبواب النار

أخبر الحق أن للنار سبعة أبواب كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[1] . قال ابن كثير في تفسير الآية : « أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه ، أجارنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بحسب عمله » ، ونُقِلَ عن علي بن أبي طالب قوله وهو يخطب : « إن أبواب جهنم هكذا ـ قال أبو هارون ـ أطباقا بعضها فوق بعض » ونقل عنه أيضا قوله : « أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلىء الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى تمتلىء كلها »[2] .

وعندما يَرِدُ الكفار النار تفتح أبوابها ، ثم يدخلونها خالدين ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] ، وبعد هذا الإقرار يقال لهم : ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[4] ، وهذه الأبواب تغلق على المجرمين ، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك ، كما قال تعالى :

---

(١) سورة الحجر : ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) تفسير ابن كثير : (٤/١٦٢) .
(٣) سورة الزمر : ٧١ .
(٤) سورة الزمر : ٧٢ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[1] .

قال ابن عباس : (مؤصدة) مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش ، أي أغلقه[2] .

وقال الحق في سورة الهمزة : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[3]

فأخبر الحق أن أبوابها مغلقة عليهم ، وقال ابن عباس :(في عمد ممدة) يعني الأبواب هي الممدة ، وقال قتادة في قراءة ابن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممدة[4] ، وقال عطية: هي عمد من حديد ، وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شدّت بأوتاد من حديد ، حتى يرجع عليهم غمها وحرها ، وعلى هذا فقوله : (ممدة) صفة للعمد ، يعني أن العمد التي أوثقت بها الأبواب ممدة مطولة ، والممدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير[5] .

وقد تفتح أبواب النار وتغلق قبل يوم القيامة ، فقد أخبر المصطفى أن أبواب النار تغلق في شهر رمضان ، فعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين ومردة الجن »[6] .

---

(١) سورة البلد : ١٩ ـ ٢٠ .
(٢) تفسير ابن كثير : (٢٩٨/٧) .
(٣) سورة الهمزة : ١ ـ ٩ .
(٤) تفسير ابن كثير : (٣٦٨/٧) .
(٥) التخويف من النار ، لابن رجب ص : ٦١ .
(٦) التخويف من النار : ص ٦٦ .

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وأغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب »[1] .

(١) التخويف من النار : ص ٦٦ .

المبحث الخامس
وقود النار

الأحجار والفجرة الكفار وقود النار ، كما قال الحق : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[1] ، وقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2] .

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفرة المشركون ، وأمّا نوع الحجارة التي تكون للنار وقودا فالله أعلم بحقيقتها ، وقد ذهب بعض السلف إلى أن هذه الحجارة من كبريت ، قال عبدالله بن مسعود : هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدّها للكافرين ، رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في المستدرك . وقال بهذا القول ابن عباس ومجاهد وابن جريج[3] .

وإذا كان القول بهذا مأخوذا من الرسول ﷺ فنأخذ به ، ولا نجادل فيه ، وإن كان أمرا اجتهاديا مبنيا على العلم بطبائع الحجارة وخصائصها فهذا قول غير مسلّم ، فإن من الحجارة ما يفوق حجارة الكبريت قوة واشتعالا . والأوائل رأوا أن حجارة الكبريت لها خصائص ليست لغيرها من الحجارة فقالوا إنها مادة وقود النار ، يقول ابن رجب : « وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : (١٠٧/١) .

توقد بها النار . ويقال : إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها : سرعة الإيقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرّها إذا حميت »[1] . وقد يوجد الله من أنواع الحجارة ما يفوق مافي الكبريت من خصائص ، ونحن نجزم أن مافي الآخرة مغاير لما في الدنيا .

ومما توقد به النار الآلهة التي كانت تعبد من دون الله ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] .

وحصبها : وقودها وحطبها ، وقال الجوهري : « كل ما أوقدت به النار أو هيجتها فقد حصبتها » ، وقال أبو عبيدة : « كل ما قذفته في النار فقد حصبتها به »[3] .

---

(1) التخويف من النار لابن رجب : ص ١٠٧ .
(2) سورة الأنبياء : ٩٨ ـ ٩٩ .
(3) يقظة أولي الاعتبار : ص ٦١ .

المبحث السادس
شدة حرها وعظم دخانها وشرارها

قال الله تعالى : ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[1] ، وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة : الماء والهواء والظل ،وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً ، فهواء جهنم : السموم ، وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وماؤها الحميم الذي قد اشتدَّ حرّه ، وظلها اليحموم وهو قِطَعُ دخانها[2] .

وكما هوَّل في هذه الآية أمر أصحاب الشمال أهل النار ، هول في آية أخرى أمر النار فقال : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[3] .

والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾[4] ، هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة ، كما أن النفس تحبه وتستريح إليه ، أمّا هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر ، إنه ظل من يحموم .

وقد حدثنا القرآن عن هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار ،

---

(١) سورة الواقعة : ٤١ ـ ٤٤ .

(٢) التخويف من النار : ص ٨٥ .

(٣) سورة القارعة : ٨ ـ ١١ .

(٤) سورة الواقعة : ٤١ .

فقال : ﴿ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴾(1) . فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لضخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة ، ولا تقي من اللهب المشتعل ، أمّا شرار هذه النار المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة ، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر أي الإبل السود .

وقال الحق مبينا قوة هذه النار ، ومدى تأثيرها في المعذبين : ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴾(2)، إنها تأكل كل شيء ، وتدمر كل شيء ، لا تبقي ولا تذر ، تحرق الجلود ، وتصل إلى العظام وتصهر مافي البطون ، وتطلع على الأفئدة .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن « نارنا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » ، قيل :يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : « فضلت عليها بتسعة وستين جزءا ، كلهنَّ مثل حرها » . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري ، وفي لفظ مسلم : « ناركم التي يوقد ابن آدم . . »(3) .

وهذه النار لا يخبو أوارها مع تطاول الزمان ، ومرور الأيام ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾(4) ، ﴿ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾(5) ، ولذلك لا يجد الكفار طعم الراحة ، ولا يخفف عنهم العذاب مهما طال العذاب ، ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(6) . والنار تسعّر كل يوم كما في الحديث عند

---

(1) سورة المرسلات : ٣٠ ـ ٣٣ .

(2) سورة المدثر : ٢٧ ـ ٣٠ .

(3) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار ، فتح الباري : (٦/٣٣٠) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، باب شدة حر النار : (٤/٢١٨٤) .

(4) سورة النبأ : ٣٠ .

(5) سورة الإسراء : ٩٧ .

(6) سورة البقرة : ٨٦ .

مسلم عن عمرو بن عبسه عن النبي ﷺ قال : « صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تطلع الشمس ، وترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فَصَلٍّ » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا اشتد الحرّ فأبردوا بالصلاة ، فإن شدّة الحر من فيح جهنم » .

وتُسعَّرُ النار في يوم القيامة عندما تستقبل أهلها ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[1] ومعنى سعِّرت : أوقدت ، وأحميت .

(١) سورة التكوير : ١٢ ـ ١٣

المَبحَث السَّابِع
النار تتكلم وتبصر

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف النار يجدها مخلوقا يبصر ، ويتكلم ، ويشتكي ، ففي الكتاب العزيز أن النار ترى أهلها وهم قادمون عليها من بعيد ، فعند ذلك تطلق الأصوات المرعبة الدالة على مدى حنقها وغيظها على هؤلاء المجرمين ، قال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[1] . وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : « إن الرجل ليجر إلى النار ، فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه يستجير مني ، فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول : يا رب ما كان هذا ظني بك ، فيقول الله : ما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك ، فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى البعير ، وتزفر زفرة أخرى لا تبقي أحدا إلا أخافته »[2] .

وقد خرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج يوم القيامة عنق من النار ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، تقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين » وصححه الترمذي[3] .

---

(١) سورة الفرقان : ١٢ .

(٢) ساق ابن كثير هذا الحديث في « النهاية » (٢/٢١) وقال : « وإسناده صحيح » .

(٣) التخويف من النار ، ص ١٧٩ ، وانظر جامع الأصول : (١٠/٥١٨) ، وقال المحقق : إسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

المبحث الثامن

رؤيا ابن عمر للنار

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن عمر قال : رأيت في المنام أنه جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد ، ثم لقيني ملك في يده مقمعة من حديد ، قالوا : لن تُرع . نعم الرجل أنت . لو كنت تكثر الصلاة من الليل ، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، لها قرون كقرون البئر ، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة حديد ، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم ، وعرفت رجالاً من قريش ، فانصرفوا بي عن ذات اليمين ، فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال : « إن عبدالله رجل صالح »[1] .

---

(١) التخويف من النار ، لابن رجب : ص ٥١ .

المَبحث التَاسِع
هل يرى أحد النار قبل يوم القيامة عياناً

الذي نعلمه أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه قد رأى النار كما رأى الجنة في حياته ، ففي الصحيحين عن عبدالله بن عباس في صلاة الخسوف أن الرسول ﷺ قال : « إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء »[1] .

وفي صحيح البخاري عن أسماء أن الرسول ﷺ قال : « قد دنت مني الجنة ، حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم ؟ فإذا إمرأة تخدشها هرة . قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا ، لا هي أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض »[2] .

وفي مسند أحمد عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ : « إن النار أدنيت مني حتى نفخت حرّها عن وجهي ، فرأيت فيها صاحب المحجن ، والذي بحر البحيرة وصاحب حمير ، وصاحبة الهرة »[3] .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنه

---

(١) مشكاة المصابيح : (١/٤٧٠) .
(٢) صحيح الجامع : (٤/١٣٣) ، ورقم الحديث : ٤٢٤٧ .
(٣) صحيح الجامع : (٢/١٧١) ، ورقمه : ١٩٦٨ .

عرضت عليَّ الجنة والنار ، فقربت مني الجنة ، حتى لقد تناولت منها قطفا ، قصرت يدي عنه ، وعرضت عليَّ النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاني ، ورأيت امرأة حميرية سوداء طويلة ، تعذب في هرة لها ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تسقها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت فيها أبا ثمامة عمر بن مالك يجر قُصبة من النار »[1] .

وبعد أن يموت العباد تعرض عليهم في البرزخ مقاعدهم في الجنة إن كانوا مؤمنين ، ومقاعدهم في النار إن كانوا كافرين، وقد بينا ذلك في الحديث عن البرزخ .

---

(١) صحيح الجامع : (٢/٢٩٨) ، ورقمه : ٢٣٩٤ .

المبحث العاشر

تأثير النار على الدنيا وأهلها

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت ربِّ أكل بعضي بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشدُّ ما تجدون من الحر ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير » .

وروى البخاري أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «أبردوا بالصلاة ، فإن شدّة الحرّ من فيح جهنم »[1] .

---

(١) انظر هذين الحديثين في صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، فتح الباري : (٦/ ٣٣٠) ، وعزاهما في جامع الأصول : (١٠/ ٥١٧) إلى البخاري ومسلم والترمذي .

الفصل الرابع

النار خالدة لا تبيد

النار خالدة لا تفنى ولا تبيد ، كما قال الطحاوي في عقيدته : « والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان ولا تبيدان »[1] ، ونقل ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك ، فقد جاء في كتابه « الملل والنحل » قوله : « اتفقت فرق الأمّة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا الجهم بن صفوان »[2] . وجاء في كتابه « مراتب الإجماع » قوله : « . . . وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفنى ، ولا يفنى أهلها بلا نهاية »[3] . والنصوص الدالة على خلود النار كثيرة جدّاً ، وسيأتي ذكر الكثير منها في تضاعيف البحث ، وحسبك أن الله سماها « دار الخلد » .

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار خالدة لا تبيد ، وأهلها فيها خالدون ، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين ، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون .

---

(١) شرح الطحاوية : ص ٤٧٦ .
(٢) الملل والنحل ، لابن حزم : (٤/٨٣) .
(٣) مراتب الإجماع : ١٧٣ .

القائلون بفناء النار

والمخالفون لمذهب أهل الحق في هذه المسألة سبع فرق:

١ ــ الجهمية القائلون بفناء النار وفناء الجنة أيضا ، وقد حكى الإمام أحمد في آخر كتاب « الرد على الزنادقة » مذهب الجهمية بأن النار والجنة تفنيان، ورد عليهم ذاكرا النصوص الدالة على عدم فنائهما .

٢ ــ الخوارج والمعتزلة يقولون بخلود كل من يدخل النار ، ولو كانوا من أهل التوحيد ، وسرّ هذا القول أن الخوارج يكفرون المسلمين بالذنوب ، فكل من ارتكب ذنبا ، فإنه كافر خالد مخلد في نار جهنم ، والمعتزلة يرون أن من ارتكب ذنبا فهو في منزلة بين المنزلتين ، فلا هو مؤمن ولا كافر ، ويجرون عليه أحكام الإسلام في الدنيا ، ولكنه في الآخرة مخلد في نار جهنم ، وقد سقنا كثيرا من النصوص الدالة على أن أهل التوحيد يخرجون من النار .

٣ ــ اليهود الذين يزعمون أنهم يعذبون في النار وقتا محدودا ، ثم يخلفهم غيرهم فيها ، وقد أكذبهم الله في زعمهم ، ورد عليهم مقالتهم ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة : (٨٠ ـ ٨١) .

(٢) سورة آل عمران : ٢٣ ـ ٢٤ .

ونقل ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس أنه قال في تفسير آية البقرة : « قال أعداء الله اليهود : لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم ، الأيام التي أصبنا فيها العجل : أربعين يوما ، فإذا انقضت عنا تلك الأيام ، انقطع عنا العذاب » .

وذكر ابن جرير عن السدى قوله : « قالت اليهود : إن الله يدخلنا النار أربعين ليلة ، حتى إذا أكلت النار خطايانا ، نادى منادٍ : أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل ، فلذلك أمرنا أن نختتن ، قالوا : فلا يَدَعُون منا في النار أحدا إلا أخرجوه »[1] .

وذكر أيضا عن ابن عباس قال : « ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوبا : إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهى إلى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم ، وكان ابن عباس يقول : إن الجحيم سقر ، وفيها شجرة الزقوم ، فزعم أعداء الله أنه خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة » .

قال ابن جرير : « وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي في أصل الجحيم ، فقالوا : إذا خلا العدد انتهى الأجل ، فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك ، فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[2] . يعنون بذلك الأجل ، فقال ابن عباس : « لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب ، حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، قال لهم خزان سقر : زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياما معدودة ، فقد خلا العدد ، وأنتم في الأبد ، فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون »[3] .

---

(١) تفسير ابن جرير : (١/ ٣٨١) .
(٢) سورة البقرة : ٨٠ .
(٣) تفسير ابن جرير : (١/ ٣٨١) .

٣ ـ قول إمام الإتحادية ابن عربي الطائي ، فإنه زعم أن أهلها يعذبون فيها مدة ، ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم ، قال ابن حجر في الفتح : « وهذا قول بعضٍ من ينسب إلى التصوف من الزنادقة »[١] .

٥ ـ قول من زعم أن أهلها يخرجون منها ، وتبقى على حالها خالدة لا تبيد .

٦ ـ قول أبي هذيل العلاف من أئمة المعتزلة الذاهب إلى أن حياة أهل النار تفنى ، ويصيرون جمادا لا يتحركون ، ولا يحسون بألم ، قال بذلك لأنه يقول بامتناع حوادث لا نهاية لها ، فخالف الأدلة الصريحة القطعية الثبوت بمقاييس عقلية باطلة .

٧ ـ قول من قال : إن الله يخرج منها من يشاء ، كما ورد في الأحاديث ، ثم يبقيها شيئا ، ثم يفنيها ، فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه[٢] .

والقول الأخير مال إليه البحر العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغفر له ، كما ذهب إليه تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وقد تتابع العلماء في التأليف لبيان خطأ هذا المذهب، يقول ابن حجر العسقلاني بعد حكايته لهذا القول : « وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول ، ونصره بعدة أوجه من جهة النظر ، وهو مذهب رديء مردود على قائله ، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد »[٣] ، وهذا الكتاب الذي أشار إليه هو

---

(١) فتح الباري : (١١/٤٢١).

(٢) راجع في هذا المبحث المصادر التالية : شرح الطحاوية : ص ٤٨٣ ، شرح عقيدة السفاريني (٢/٢٣٤) ، يقظة أولي الاعتبار لصديق حسن خان : ص ٤١ ، فتح الباري : (١١/٤٢١) .

(٣) فتح الباري : (١١/٤٢٢) .

« الاعتبار ببقاء الجنة والنار » لتقي الدين علي بن عبدالباقي السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ .

وقال صديق حسن خان : « وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها : « توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين » ، وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني ، حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما »[١] .

وهنا أمور نحب بيانها :

الأول : أن هذا القول قول باطل وإن ذهب إليه عَلَمان من أعلام الإسلام ، فقد علّمنا شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم أن حب الحق ينبغي أن يكون مقدما على حب الرجال . وأدلة بطلانه النصوص الكثيرة الدالة على خلود النار ، وهي نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، وقد ذكرنا قول من نقل الإجماع على خلود النار .

الثاني : أنه لا يجوز بحال من الأحوال ذم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بسبب هذه المقالة ، فقد كفرهما قوم ، وفسقهما قوم بسبب ذلك ، وكل هذا ليس بصواب ، فإنهما مجتهدان مأجوران مثابان ، ولو علما الحق في خلاف قولهما لاتبعاه ، ودعوى أن المخالف في مثل هذا يكفَّر قائلة يُوصِل القائلين بهذا إلى تكفير أئمة هذه الأمة الذين لا يُمارَى في إمامتهم ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يذهب إلى أن المسافر إذا لم يجد الماء لا يتيمم ولا يصلي ، وقد اتفقت الأمة على خلاف هذا ، والإمام مالك كان يرى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية

---

(١) يقظة أولي الاعتبار ، لصديق حسن خان : ص ٤٢ ، ورسالة الصنعاني طبعها المكتب الإسلامي ببيروت ، وقد حققها وكتب لها مقدمة ضافية الشيخ ناصر الدين الألباني فأجاد .

من كتاب الله ، وقد أجمعت الأمة على أن ما بين الدفتين قرآن ، وقال أقوام بعدم زيادة الإيمان ونقصانه مع كونه مثبت بالكتاب والسنة صريح فيهما ، والإجماع منعقد عليه .

الثالث : ينبغي أن ننبه أن لابن تيمية وابن القيم قولا بعدم فناء النار ، جاء في مجموع فتاوي شيخ الإسلام قوله في إجابة سؤال : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله ، وجماع سلف الأمة وأئمتها »[1] .

وإذا كان الأمر كذلك ، أي لهما قولان ، فلا يجوز أن نجزم بأن القول بفناء النار هو قولهما مالم يعلم أنه القول الأخير ، وإذا لم يعلم القول الأخير فالأولى التوقف في نسبة أحد المذهبين إليهما .

الرابع : الأدلة التي احتج بها شيخ الإسلام وابن القيم على فناء النار ، بعضها غير صحيح ، والصحيح منها غير صريح ، بل يمكن حمله على غير فناء النار ، بل على فناء النار التي يكون فيها عصاة الموحدين . وقد ناقش الصنعاني في رسالته التي يرد فيها على ابن تيمية وابن القيم هذه الأدلة ، وبين عدم نهوضها على ما ذهب إليه . وهذه الرسالة هي المسماة « برفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار »[2] .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (١٨/ ٣٠٧) .

(٢) طبعها المكتب الإسلامي ببيروت .

ومن الذين تعرضوا لهذه المسألة القرطبي في « التذكرة » ، فقد ساق النصوص الدالة على خلود الجنة والنار ، والمخبرة بأن الموت يذبح بين الجنة والنار ثم يقال : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ثم قال : « هذه الأحاديث مع صحتها في خلود أهل الدارين فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة »[1] . ثم تعرض للرد على الذين قالوا بفناء النار ، وبين أن الذي يفنى إنما هو النار التي يدخلها عصاة الموحدين ، قال: «فمن قال: إنهم يخرجون منها ، وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها ، وأنها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول . . وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العلية التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهي التي ينبت على شفيرها الجرجير[2] ، قال فضل بن صالح المعافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم ، فقال لنا انصرفوا ، فلما كان العشية رجعنا إليه ، فقال : إنما قلت لكم انصرفوا ، لأنه جاءني رجل يستأذن عليَّ زعم أنه قدم من الشام في مسألة فقال : يا أبا عبدالله ما تقول في أكل الجرجير ؛ فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : لا بأس به[3] . فقال : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام ، ذكره الخطيب أبو بكر أحمد رحمه الله ، وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ، ليس فيها أحد ، يعني من الموحدين ، هكذا رواه

---

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٣٦ .

(٢) هذا القول لا يصح فيه خبر ثابت ، وكأن قائلة أراد منه خمود النار التي يكون فيها عصاة الموحدين حتى ينبت النبات على حوافها .

(٣) هذه القصة إن كانت صحيحة فقد تكلف هذا السائل في سفره لتبين أمر هو في غاية الوضوح .

موقوفا من قول عبدالله بن عمرو ، وليس فيه ذكر النبي ﷺ ، ومثله لا يقال من جهة الرأي ، فهو مرفوع »[1] .

(1) التذكرة للقرطبي : ص ٤٣٧ .

الفصل الخامس

أهل النيران وجرائمهم

المبحث الأول

أهلها المخلدون فيها

المطلب الأول

التعريف بهم

أهل النار الخالدون فيها الذين لا يرحلون ولا يبيدون ـ هم الكفرة والمشركون . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ

---

(١) سورة الأعراف : ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء : ٩٩ .

(٣) سورة الزخرف : ٧٤ .

عذابها ﴾[1] . وقال : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[2] ! وقال : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ۝ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾[3] .

وقال : ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾[4] ، وقال : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾[5] .

ولما كانوا خالدين فيها فقد وصف الحق عذاب النار بأنه مقيم ، أي لا ينقطع ، كما أضافه إلى الخلد ، قال تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾[6] ، وقال : ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾[7] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم : ياأهل النار لا موت ، ويا أهل الجنة لا موت ، خلود »[8] . وروي عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) سورة فاطر : ٣٦ .
(٢) سورة البقرة : ٣٩ .
(٣) سورة البقرة : ١٦٠ - ١٦١ .
(٤) سورة التوبة : ٦٣ .
(٥) سور التوبة : ١٧ .
(٦) سورة المائدة : ٣٧ .
(٧) سورة يونس : ٥٢ .
(٨) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، فتح الباري : (٤٠٦/١١) .

رسول الله ﷺ : « يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة لا موت ، ولأهل النار : يا أهل النار خلود لا موت »[1] .

وهذا يقال بعد ذبح الموت كما في حديث ابن عمر عند البخاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي منادي : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم »[2] .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت . قال : ويقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح . قال : ثم قال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » . قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3][4] .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري يرفعه قال : « إذا كان يوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار » قال : حديث حسن صحيح[5] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق : باب صفة الجنةوالنار،فتح الباري : (١١/٤١٥) .

(٣) سورة مريم : ٣٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها : (٤/٢١٨٨) .

(٥) التذكرة للقرطبي : ص ٤٣٦ .

المطلب الثاني
النار مسكن الكفرة المشركين

لما كان الكفرة المشركون خالدين في النار فإن النار تعتبر بالنسبة لهم سكناً ومأوى ، كما أن الجنة مسكن المؤمنين ، ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[1] ، ﴿ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] ، ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾[3] . وهي مأواهم تتولى أمرهم ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾[4] .

وهي بئست المسكن والمثوى ، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[5] ، ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[6] .

المطلب الثالث
الدعاة إلى النار

أصحاب المبادىء الضالة ، والمذاهب الباطلة المخالفون لشرع الله ، والدعاة المؤمنون بباطلهم هم دعاة النار ، ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾[7] ،

(١) سورة آل عمران : ١٥١ .
(٢) سورة يونس : ٨ .
(٣) سورة العنكبوت : ٦٨ .
(٤) سورة الحديد : ١٥ .
(٥) سورة البقرة : ٢٠٦ .
(٦) سورة ص : ٥٥ ـ ٥٦ .
(٧) سورة البقرة : ٢٢١ .

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[1] ، ومن هؤلاء الشيطان ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3] . وهؤلاء الذين يدعون إلى النار في الدنيا يقودون أقوامهم وأتباعهم إلى النار في الآخرة ، ففرعون مثلاً ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾[4] . وكل قادة الشر الذين يدعون إلى عقائد ومبادىء مخالفة للإسلام هم دعاة إلى النار ، لأن الطريق الوحيد الذي ينجي من النار ويدخل الجنة هو طريق الإيمان ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[5] ، كانوا يدعونه إلى فرعون وكفره وشركه ، وهو يدعوهم إلى الله وتوحيده والإيمان به ، ولما كان الكفار دعاة إلى النار حرم الله على المؤمنين الزواج من المشركات ، كما حرّم على المؤمنات الزواج من المشركين ، ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[6] .

المطلب الرابع
أعظم جرائم الخالدين في النار

لقد أطال القرآن في تبيان جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النيران ، ونحن نذكر هنا أهمها :

---

(١) سورة القصص : ٤١ .
(٢) سورة لقمان : ٢١ .
(٣) سورة فاطر : ٦ .
(٤) سورة هود : ٩٨ .
(٥) سورة غافر : ٤١ .
(٦) سورة البقرة : ٢٢١ .

١ ـ الكفر والشرك . فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الذين كفروا ينادون عندما يكونون في النار ، فيقال لهم : إن مقت الله لكم أعظم من مقتكم أنفسكم بسبب كفركم بالإيمان ، ثم بين أن خلودهم في النار إنما هو بسبب كفرهم وشركهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾[1] .

وحدثنا الحق تبارك وتعالى أن خزنة النار يسألون الكفار عند ورودهم النار قائلين ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ؟[2] فيكون الجواب : أنهم استحقوا النار بسبب تكذيبهم المرسلين ، وما جاؤوا به ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾[3] .

وقال في المكذبين بالكتاب : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾[4] .

وقال في المكذبين بالكتاب المشركين بالله ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[5] .

---

(١) سورة غافر : ١٠ .

(٢) سورة غافر : ٥٠ .

(٣) سورة الملك : ٩ .

(٤) سورة طه : ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٥) سورة غافر : ٧٠ .

وقال في الكفرة المشركين المسوين آلهتهم برب العالمين ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١) .

وقال في حق المكذبين بيوم الدين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾(٢) وقال : ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣) . وقال : ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾(٤) .

٢ ـ عدم القيام بالتكاليف الشرعية مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية ، فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾(٥) ، فيجيبون قائلين : ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾(٦) .

٣ ـ طاعة رؤساء الضلال وزعماء الكفر فيما قرروه من مبادىء الضلال وخطوات الكفر التي تصد عن دين الله ومتابعة المرسلين . قال تعالى في هؤلاء : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

---

(١) سورة الشعراء : ٩٤ ـ ٩٨ .
(٢) سورة الفرقان : ١١ .
(٣) سورة الرعد : ٥ .
(٤) سورة الإسراء : ٩٧ ـ ٩٨ .
(٥) سورة المدثر : ٤٢ .
(٦) سور المدثر : ٤٣ ـ ٤٧ .

ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1]

وعندما يحل الكفار في النار ، وتقلب وجوههم فيها يتندمون لعدم طاعتهم الله ورسوله ، وطاعتهم السادة الكبراء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[2] .

٤ ـ النفاق : وعد الله المنافقين النار ، وهو وعد قطعه على نفسه لا يخلفه ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[3] وأخبرنا أن موقع المنافقين في النار هو دركاتها السفلى ، وهي أشدها حراً ، وأكثرها إيلاما ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[4] .

٥ ـ الكبر : وهذه صفة يتصف بها عامة أهل النار ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[5] .

وقد عقد مسلم في صحيحه بابا عنون له بقوله : « باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء » ، وذكر فيه احتجاج الجنة والنار وما قالتا وما قال الله

---

(١) سورة فصلت : ٢٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦٤ ـ ٦٧ .

(٣) سورة التوبة : ٦٨ .

(٤) سورة النساء : ١٤٥ .

(٥) سورة الأعراف : ٣٦ .

لهما ، وساق فيه حديث أبي هريرة يرفعه إلى الرسول ﷺ ، وفيه أن النار قالت : « يدخلني الجبارون والمتكبرون » وفي رواية قالت : « أوثرت بالمتكبرين والجبارين » . وقال الله لها : « أنت عذابي أعذب بك من أشاء »[1] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن حارثة بن وهب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر »[2] وفي رواية لمسلم « كل جوَّاظ زنيم متكبر »[3]، ومصداق هذا في كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[6] .

المطلب الخامس
جملة الجرائم التي تدخل النار

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ما عمل أهل النار ، وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار : الإشراك بالله تعالى ، والتكذيب

---

(1) صحيح مسلم : (٤/٢١٨٦) ورقم الحديث : ٢٨٤٦ .

(2) جامع الأصول : (١٠/٥٤٧) ورقم الحديث : ٨١١١ .

(3) انظر الحديث ورواياته في « صحيح مسلم » كتاب الجنة « باب النار يدخلها الجبارون » : (٤/٢١٩٠) ورقمه ٢٨٥٣ ، والعتل : الغليظ الجافي الذي لا ينقاد للخير ، والزنيم : الدعي الملصق بالقوم وليس منهم ، أو هو اللئيم في أخلاق الناس ، والجواظ : الذي جمع ومنع .

(4) سورة الزمر : ٦٠ .

(5) سورة الأحقاف : ٢٠ .

(6) سورة النازعات : ٣٧ .

للرسل ، والكفر ، والحسد ، والكذب ، والخيانة ، والظلم ، والفواحش ، والغدر ، وقطيعة الرحم ، والجبن عن الجهاد ، والبخل ، واختلاف السر والعلانية ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والجزع عند المصائب ، والفخر والبطر عند النعم ، وترك فرائض الله ، واعتداء حدوده ، وانتهاك حرماته ، وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياءً وسمعه ، ومخالفة الكتاب والسنة ، أي اعتقادا وعملا ، وطاعة المخلوق في معصية الخالق ، والتعصب للباطل ، واستهزاء بآيات الله ، وجحد الحق ، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة ، والسحر ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[١] .

وقد ذكر الرسول ﷺ جماع الذنوب التي تدخل النار ، ففي صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال في خطبة له طويلة : « وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْرَ له[٢] ، الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع[٣] ، وإن دقَّ إلّاخانة ،ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل ، والكذب والشنظير[٤] ، الفحاش[٥] » .

---

(١) يقظة أولي الاعتبار ، ص ٢٢٢ .

(٢) أي لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي ، وقيل : هو الذي لا مال له .

(٣) أي لا يظهر له .

(٤) هو الفحاش كما هو مفسر في الحديث .

(٥) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار : (٢١٩٧/٤) . ورقمه : ٢٨٦٥ .

المطلب السادس
أشخاص بأعيانهم في النار

الكفار والمشركون في النار لا شك في ذلك ، وقد أخبرنا القرآن الكريم ، كما أخبرنا الرسول ﷺ أن أشخاصا بأعيانهم في النار ، فمن هؤلاء فرعون موسى ، ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾[(1)] . ومنهم امرأة نوح وامرأة لوط ، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[(2)] .

ومنهم أبو لهب وامرأته ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾[(3)] ومنهم عمرو بن عامر الخزاعي ، فقد رآه الرسول ﷺ يجر أمعاءه في النار[(4)] ومنهم الذي قتل عمار وسَلَبَه ، ففي معجم الطبراني بإسناد صحيح عن عمرو بن العاص وعن ابنه عن النبي ﷺ ، قال : « قاتل عمّار وسالبه في النار »[(5)] .

---

(1) سورة هود : ٩٨ .

(2) سورة التحريم : ١٠ .

(3) سورة تبت : ١ ـ ٥ .

(4) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد ، وقد ذكرنا نص الحديث في موضع آخر .

(5) صحيح الجامع : (٤/١١٠) ، ورقمه : ٤١٧٠ .

المطلب السابع
كفرة الجن في النار

كفرة الجن يدخلون النار كما يدخلها كفرة الإنس ، فالجن مكلفون كالإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] .

وفي يوم القيامة يحشر الجن والإنس على حدّ سواء ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾[2] ، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾[3] ثم يقال للكفرة منهم : ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾[4] وعند ذلك يكبكبون في النار ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[5] ، وبذلك تتم كلمة الله القاضية بملء النار من كفرة الجن والإنس ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[6] ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[7] .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .
(٢) سورة الأنعام : ١٢٨ .
(٣) سورة مريم : ٦٨ .
(٤) سورة الأعراف : ٣٨ .
(٥) سورة الشعراء : ٩٤ ـ ٩٥ .
(٦) سورة هود : ١١٩ .
(٧) سورة فصلت : ٢٥ .

المبحث الثاني
الذين لا يخلدون في النار

المطلب الأول
التعريف بهم

الذين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها هم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئاً ، ولكن لهم ذنوب كثيرة فاقت سيئاتهم ، فخفت موازينهم ، فهؤلاء يدخلون النار مددا يعلمها الله تبارك وتعالى ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، ويخرج الله برحمته أقواما لم يعملوا خيرا قط .

المطلب الثاني
الذنوب المتوعد عليها بالنار

سنذكر هنا بعض الذنوب التي جاءت النصوص مخبرة أن أهلها يعذبون بسببها في النار :

١ ـ الفرق المخالفة للسنة :

روى أبو داود والدارمي وأحمد والحاكم وغيرهم عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » .

وهذا حديث صحيح . قال فيه الحاكم بعد سياقه لأسانيده : « هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح الحديث » . ووافقه الذهبي . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيه : « هو حديث صحيح مشهور » . وصححه الشاطبي في « الاعتصام » , وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرقه وتكلم على أسانيده، وبين أنه حديث صحيح لا شك في صحته[1] .

وقد ذهب صديق حسن خان إلى أن الزيادة التي في الحديث وهي « كلها هالكة إلا واحدة » ومثلها « ثنتان وسبعون في النار » زيادة ضعيفة . ونقل تضعيف ذلك عن شيخه الشوكاني ومن قبله عن ابن الوزير ومن قبله عن ابن حزم . وقد استحسن قول من قال : « إن هذه الزيادة من دسيس الملاحدة ، فإن فيها التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه »[2] .

وقد رد الشيخ ناصر الدين الألباني على من ضعف هذه الزيادة من وجهين :

الأول : أن النقد العلمي الحديثي قد دل على صحة هذه الزيادة ، فلا عبرة بقول من ضعفها .

الثاني : أن الذين صححوها أكثر وأعلم من ابن حزم ، لا سيما وهو معروف عند أهل العلم بتشدده بالنقد ، فلا ينبغي أن يحتج به إذا تفرد عند عدم المخالفة ، فكيف إذا خالف .

وأما ابن الوزير فإنه يرد الزيادة من جهة المعنى لا من جهة الإسناد ، وقد تكلم على هذا صديق حسن خان في « يقظة أولى الاعتبار » مبينا أن مقتضى الزيادة أن الذي يدخل الجنة من هذه الأمة قليل ، والنصوص الصحيحة الثابتة تدل على

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ورقم الحديث (٢٠٤) .

(٢) يقظة أولى الاعتبار : ص ٢٠٦ .

أن الداخلين من هذه الأمة الجنة كثير كثير ، يبلغون نصف أهل الجنة[1] .

والرد على هذا من عدة وجوه :

الأول : ليس معنى انقسام الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة أن يكون أكثر الأمة في النار ، لأن أكثر الأمة عوام لم يدخلوا في تلك الفرق ، والذين افترقوا وقعدوا وأصلوا مخالفين السنة قليل بالنسبة للذين جانبوا ذلك كله .

الثاني : ليس كل من خالف أهل السنة في مسألة من المسائل يعد من الفرق المخالفة للسنة ، بل المراد بهم الذين تبنوا أصولا تصيِّرهم فرقة مستقلة بنفسها ، تركوا من أجلها كثيرا من نصوص الكتاب والسنة ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة .

أما الذين يتبنون الكتاب والسنة ولا يحيدون عنهما ، فإنهم إذا خالفوا في مسألة من المسائل لا يعدون فرقة من الفرق .

الثالث : الزيادة دلت على أن الفرق في النار ، ولكنها لم توجب لهم الخلود في النار .

ومن المعلوم أن بعض أهل هذه الفرق كفرة خالدون في النار ، كغلاة الباطنية الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر كالإسماعيلية والدروز والنصيرية ونحوهم .

ومنهم الذين خالفوا أهل السنة في مسائل كبيرة عظيمة ولكنها لا تصل إلى الكفر ، فهؤلاء ليس لهم وعد مطلق بدخول الجنة ، ولكنهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم ، وقد تكون لهم أعمال صالحة عظيمة تنجيهم من

---

(١) انظر كلام الشيخ في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » حديث رقم (٢٠٤) . و « يقظة أولى الاعتبار » ص : ٢٠٧ .

النار ، وقد ينجون من النار بشفاعة الشافعين ، وقد يدخلون النار ويمكثون فيها ما شاء الله أن يمكثوا ، ثم يخرجون منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين .

٢ ـ الممتنعون من الهجرة :

لا يجوز للمسلم أن يقيم في ديار الكفر إذا وجدت ديار الإسلام خاصة إذا كان مكثه في ديار الكفر يعرضه للفتنة ، ولم يقبل الله عذر الذين تخلفوا عن الهجرة ، فقد أخبرنا الحق أن الملائكة تُبكِّت هذا الصنف من الناس حال الموت ، ولا تعذرهم عندما يدَّعون أنهم كانوا مستضعفين في الأرض ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[1] ، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا المستضعفين الذين لا يجدون حيلة للخروج ، ولا يهتدون إلى الطريق الذي يوصلهم إلى ديار الإسلام .

٣ ـ الجائرون في الحكم :

أنزل الله الشريعة ليقوم الناس بالقسط ، وأمر الله عباده بالعدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[2] ، وفرض على الحكام والقضاة الحكم بالعدل وعدم الجور ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3] ، وقد تهدد الحق الذين لا يحكمون بالحق بالنار ، فقد روى

---

(١) سورة النساء : ٩٧ ـ ٩٨ .
(٢) سورة النحل : ٩٠ .
(٣) سورة النساء : ٥٨ .

بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ ، قال : « القضاة ثلاثة : واحد في الجنّة ، واثنان في النار ، فأمّا الذي في الجنّة : فرجل عرف الحق وقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم ، فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل ، فهو في النار » أخرجه أبو داود[١] .

٤ ـ الكذب على الرسول الله ﷺ :

عقد ابن الإثير في كتابه الكبير : « جامع الأصول » فصلا ساق فيه كثيرا من الأحاديث التي تحذر من الكذب على الرسول ﷺ ، فمنها ما رواه البخاري ومسلم والترمذي عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تكذبوا عليّ ، فإنه من كذب عليّ يلج النار » .

ومنها ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تقول عليّ مالم أقل[٢] ، فليتبوأ مقعده في النار »[٣] .

ومنها ما رواه البخاري في صحيحه ، وأبو داود في سننه عن عبدالله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن كذبا علي ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[٤] .

---

(١) جامع الأصول : (١٠/ ٧٦٢١) ، وقال محقق الكتاب : وهو حديث صحيح .
(٢) تقوَّل عليه : إذا قال عنه مالم يقله .
(٣) التبوؤ : اتخاذ المنزل ، لأن المباءةَ المنزل .
(٤) جامع الأصول : (١٠/ ٦١١١) ، وقد ساق روايات أخرى فارجع إليه إن أحببت الاطلاع على جميع ما ساقه .

٥ ــ الكبر :

من الذنوب الكبار الكبر ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار » وفي رواية « أذقته النار » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال. الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس » رواه مسلم[١] .

٦ ــ قاتل النفس بغير حق :

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٢] ، فلا يجوز في دين الله قتل النفس المسلمة إلا بإحدى ثلاث كما في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »[٣] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما » . قال ابن

---

(١) انظر هذين الحديثين وأحاديث أخرى في ذم الكبر والترهيب منه في « مشكاة المصابيح » (٣/٦٣٤ ـ ٦٣٥) .
(٢) سورة النساء : ٩٣ .
(٣) تفسير ابن كثير : (٢/٣٥٥) .

عمر : « إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله »[1] . وقد حذر الرسول صلى الله ﷺ المسلمين أن يقاتل بعضهم بعضا ، وأخبر أن القاتل والمقتول في النار ، فعن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » قال : فقلت ، أو قيل : يارسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصا على قتل صاحبه »[2] . ولذا فإن العبد الصالح أبى أن يقاتل أخاه ، خشية أن يكون من أهل النار ، فباء القاتل بإثمه وإثم أخيه ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] .

٧ ـ أكلة الربا :

من الذنوب التي توبق صاحبها الربا ، وقد قال الحق في الذين يأكلونه بعد أن بلغهم تحريم الله له : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[5] . وقد عده

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ﴾ . فتح الباري : (١٢/١٨٧) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الفتن ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما : (٤/٢٢١٣) .

(٣) سورة المائدة : ٢٧ ـ ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٥) سورة آل عمران : ١٣٠ ـ ١٣١ .

الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه واحداً من سبعة ذنوب توبق صاحبها ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » .. قالوا : وما هن يارسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

٨ ــ أكلة أموال الناس بالباطل :

من الظلم العظيم الذي يستحق به صاحبه النار أكل أموال الناس بالباطل ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[١] .

ومن أكل أموال الناس بالباطل أكل أموال اليتامى ظلماً ، وقد خص الحق أموالهم بالذكر لضعفهم وسهولة أكل أموالهم ، ولشناعة هذه الجريمة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٢] .

٩ ــ المصورون :

أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهئون خلق الله ، ففي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أشدُّ الناس عذابا عند الله المصورون »[٣] .

---

(١) سورة النساء : ٢٩ ــ ٣٠ .

(٢) سورة النساء : ١٠ .

(٣) مشكاة المصابيح : (٢/٥٠٠٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفسا ، فيعذبه الله في جهنم » متفق عليه[1] .

وعن عائشة أن الرسول ﷺ قال في النمرقة التي فيها تصاوير : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم » متفق عليه[2] .

وعن عائشة أيضا ، عن النبي ﷺ قال : « أشدُّ الناس عذابا الذين يضاهون بخلق الله » متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو شعيرة » متفق عليه[4] .

١٠ ــ الركون إلى الظالمين :

من الأسباب التي تدخل النار الركون إلى الظالمين أعداء الله وموالاتهم ، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[5] .

---

(١) مشكاة المصابيح : (٢/٥٠٠٥) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سورة هود : ١١٣ .

١١ ـ الكاسيات العاريات والذين يجلدون ظهور الناس :

من الأصناف التي تصلى النار الفاسقات المتبرجات اللواتي يفتن عباد الله ، ولا يستقمن على طاعة الله ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم ، والبيهقي ، وأحمد[1] .

قال القرطبي في الذين معهم كأذناب البقر : « وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن » قال صديق حسن خان معقبا على قول القرطبي : « بل هو مشاهد في كل مكان وزمان ، ويزداد يوما فيوما عند الأمراء والأعيان ، فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله »[2] ، أقول : ولازلنا نرى هذا الصنف من الناس في كثير من الديار يجلدون أبشار الناس ، فتبا لهؤلاء وأمثالهم .

والكاسيات العاريات كثيرات في زماننا ، ولعله لم يسبق أن انتشرت فتنتهن كما انتشرت في زماننا ، وهنَّ على النعت الذي وصفه الرسول ﷺ : كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت .

١٢ ـ الذين يعذبون الحيوان :

روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٣/٣١٦) ورقم الحديث : ١٣٢٦ .
(٢) يقظة أولي الاعتبار : ص ١١٣ .

النار ، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تُعَذَّب في هرة لها ، ربطتها فلم تُطْعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعا »[1] .

إذا كان هذا حال من يعذب هرة ، فكيف من يتفنن في تعذيب العباد ؟ فكيف إذا كان التعذيب للصالحين منهم بسبب إيمانهم وإسلامهم ؟

١٣ ــ عدم الإخلاص في طلب العلم :

ساق الحافظ المنذري كثيرا من الأحاديث التي ترهب من تعلم العلم لغير الله ، نختار لك بعضا منها : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ، يعني ريحها » رواه أبو داود وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَعَلَّموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا تماروا به السفهاء ، ولا تخيرّوا به المجالس ، من فعل ذلك فالنار النار » رواه ابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي .

وعن ابن عمر عن رسول الله عليه السلام قال : « من تعلم علما لغير الله ، أو أراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النار » . رواه الترمذي وابن ماجة كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ، ولم يسمع منه . ورجال إسنادهما ثقات[2] .

---

(١) مشكاة المصابيح : (٦٨٨/٣) .
(٢) انظر هذه الأحاديث وتخريجها في : « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري : (٩١/١) .

١٤ ـ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة :

روى البخاري ومسلم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » . وفي رواية لمسلم : « إن الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب . . . »[١] .

وعن حذيفة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحرير والديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ، وهي لكم في الآخرة » متفق عليه[٢] .

١٥ ـ الذي يقطع السدر الذي يظل الناس :

عن عبدالله بن حبيش قال : قال رسول الله ﷺ : « من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار » رواه أبو داود[٣] .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « إن الذين يقطعون السدر يصبون في النار على رؤوسهم صبا »[٤] .

١٦ ـ جزاء الانتحار :

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده ، يجأبها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها

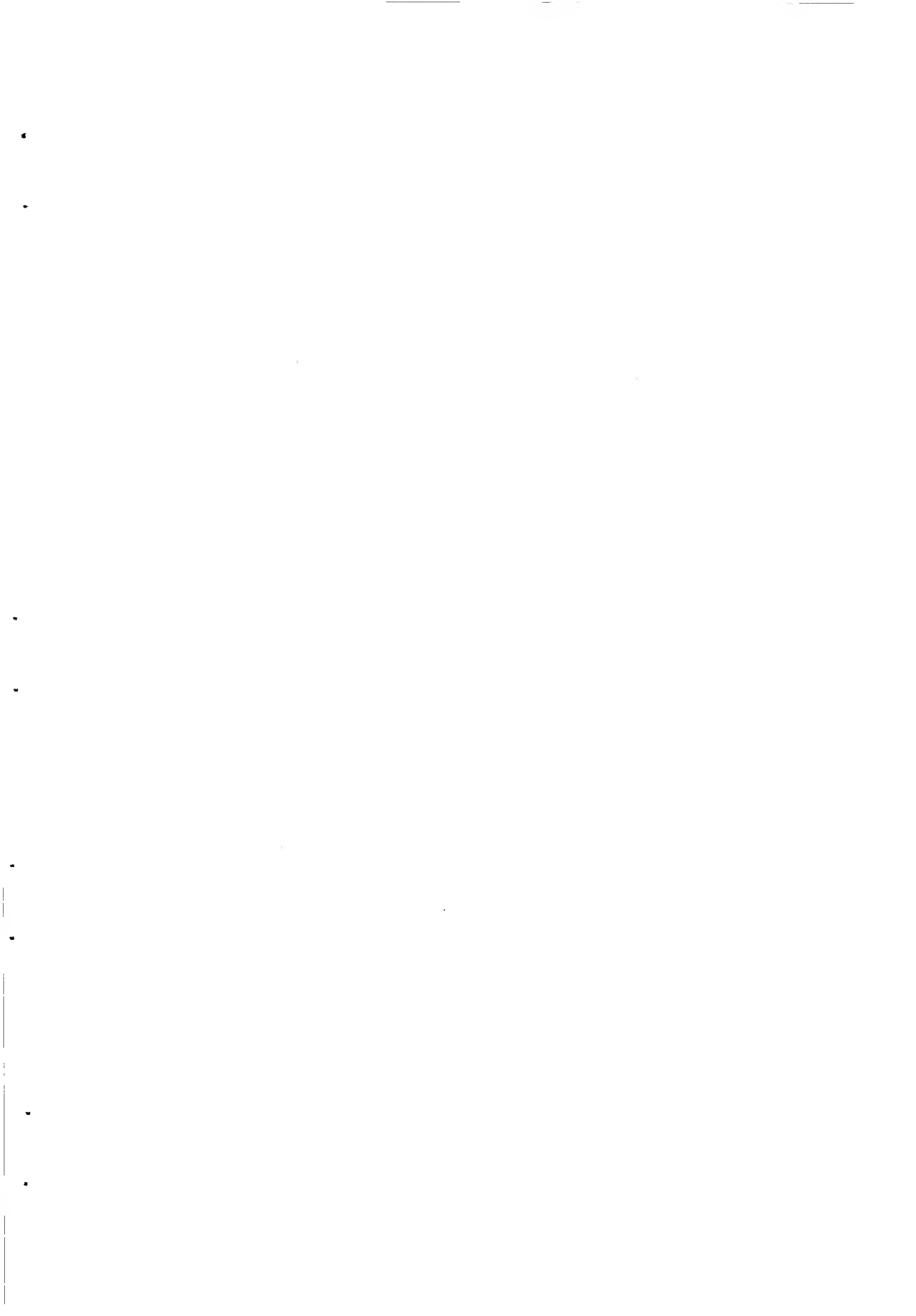
---

(١) مشكاة المصابيح : (٢/٤٦٣) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مشكاة المصابيح : (٢/١٢٥) ، وأورده الشيخ ناصر في « صحيح الجامع » : (٥/٣٤١) ، رقم الحديث : (٦٣٥٣) وعزاه إلى أبي داود والضياء في « المختارة » ، وقال : صحيح .
(٤) عزاه في « صحيح الجامع » (٢/٨٨) إلى البيهقي في « السنن » وقال فيه : صحيح .

أبدا ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً »[1] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الذي يخنق نفسه يخنقها في النار ، والذي يطعنها يطعنها في النار »[2] .

(1) التخويف من النار ص ١٤٨ .
(2) صحيح الجامع : (٥/١١٤) .



الفصل السادس

كثرة أهل النار

المبحث الأول

• النصوص الدالة على ذلك

جاءت النصوص كثيرة وافرة دالة على كثرة من يدخل النار من بني آدم ، وقلة من يدخل الجنة منهم .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] . وقال الحق تبارك وتعالى لإبليس ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3] . فكل من كفر فهو من أهل النار على كثرة من كفر من بني آدم .

ويدلك على كثرة الكفرة والمشركين الذين رفضوا دعوة الرسل أن النبي يأتي في يوم القيامةومعه الرهط ، وهم الجماعة دون العشرة ، والنبي ومعه الرجل

---

(1) سورة يوسف : ١٠٣ .
(2) سورة سبأ : ٢٠ .
(3) سورة ص : ٨٥ .

والرجلان ، بل إن بعض الأنبياء يأتي وحيداً لم يؤمن به أحد ، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . . »[1] .

وجاءت نصوص كثيرة تدل على أنه يدخل في النار من بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف ، وواحد فقط هو الذي يدخل الجنة .

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : ياآدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، ثم يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سَكْرى وما هم بسكْرى ، ولكن عذاب الله شديد . فاشتدَّ ذلك عليهم فقالوا : يا رسول الله ، أينا ذلك الرجل ؟ قال : أبشروا ، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل . ثم قال : والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة . قال : فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنّة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة في ذراع الحمار »[2] .

وروى عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره ، وقد تفاوت من أصحابه السَّيْر رفع بهاتين الآيتين صوته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

---

(1) صحيح مسلم : (١/١٩٨) . ورقم الحديث : ٢٢٠ .

(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب قول الله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ فتح الباري : (١١/٣٨٨) .

﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[١] ، فلما سمع أصحابه ذلك حثوا المطي ، وعرفوا أنه عند قول يقوله ، فلما دنوا حوله قال : « أتدرون أي يوم ذاك ؟ قال ذاك يوم ينادي آدم عليه السلام ، فيناديه ربّه عز وجل ، فيقول : يا آدم ابعث بعثا إلى النار . فيقول : يا رب ، وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد في الجنة »

قال : فأبلس أصحابه ، حتى ما أوضحوا بضاحكة . فلما رأى ذلك قال : « أبشروا واعملوا ، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس » قال : فسُرِّيَ عنهم ، ثم قال : « اعملوا وأبشروا ، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقمة في ذراع الدابة » رواه أحمد والترمذي والنسائي في كتاب التفسير في سننهما ، وقال الترمذي : حسن صحيح[٢] .

وروى الترمذي في سننه عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٣] ، قال : نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر ، فقال : « أتدرون أي يوم ذلك ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بَعْثَ النار . قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » ، فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ﷺ : « قاربوا وسددوا ، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن

---

(١) سورة الحج : ١ ، ٢ .

(٢) تفسير ابن كثير : (٤/١٠٠٦١) . وهو في مسند أحمد (٤/٤٣٥) .

(٣) سورة الحج : ١ .

تمت ، وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير » ، ثم قال : « إني لأرجـو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ، ثم قال : ولا أدري أقال : الثلثين أم لا . وكذا رواه الإمام أحمد ، وقال الترمذي فيه: هذا حديث حسن صحيح[1] .

وقد يقال كيف تجمع بين هذه الأحاديث وبين ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فتراءى ذريته ، فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فيقول : أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول : يا رب ، كم أخرج ؟ فيقول : أخرج من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا : يارسول الله ، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون ، فماذا يبقى منّا ؟ قال : إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود »[2].

والظاهر أن هذه الرواية لا تخالف الروايات الأخرى الصحيحة التي سقناها من قبل ، فإن ذلك العدد باعتبار معين ، وهذا العدد باعتبار آخر . فالأحاديث التي تجعل النسبة تسعمائة وتسعة وتسعين يمكن أن تحمل على جميع ذرية آدم ، وحديث البخاري الذي يجعلها تسعة وتسعين تحمل على جميع ذريته ما عدا يأجوج ومأجوج ، ويقرّب هذا الجمع - كما يقول ابن حجر - أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ، ويمكن أن يقال أن الأحاديث الأولى تتعلق بالخلق أجمعين ، فإذا جعلت نسبة مَنْ يدخل النار إلى من يدخل الجنة باعتبار الأمم جميعا تكون النسبة (٩٩٩) ، ويكون حديث البخاري الأخير مبيناً نسبة من يدخل النار من هذه الأمة دون سواها ، قال ابن حجر : « ويُقَرِبُهُ - أي هذا

(١) تفسير ابن كثير : (٤/٦١٠) .
(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، فتح الباري : (١١/٣٧٨) .

القول ـ قولهم في حديث أبي هريرة « إذا أخذ منا » ، ثم قال : « ويحتمل أن تقع القسمة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمّة ، فيكون من كل ألف واحد إلى الجنة ، ومرة من هذه الأمة ، فيكون من كل ألف عشرة »[1] .

(١) فتح الباري : (١١/ ٣٩٠) ، وقد ساق أقوالا أخرى ، فارجع إليه إن أحببت الاطلاع على المزيد .

المبحث الثاني

السر في كثرة أهل النار

ليس السبب في هذا هو عدم بلوغ الحق إلى البشر على اختلاف أزمانهم وأمكنتهم ، فإن الله لا يؤاخذ العباد إذا لم تبلغهم دعوته ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1] ، ولذلك فإن الله أرسل في كل أمة نذيرا ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2] .

ولكن السبب وراء ذلك يعود إلى قلة الذين استجابوا للرسل وكثرة الذين كفروا بهم وكثير من الذين استجابوا لم يكن إيمانهم خالصا نقيا .

وقد تعرض ابن رجب في كتابه « التخويف من النار » إلى السبب في قلة أهل الجنة ، وكثرة أهل النار فقال :

« فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار ، وتدل أيضا على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم ، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف ، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ ، وكتاب مبدل ، وهم أيضا من أهل النار كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : ١٥ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ .

(٣) سورة هود : ١٧ .

وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضا ، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، وأمّا المنتسبون إليه ظاهرا وباطنا فكثير منهم فتن بالشبهات ، وهم أهل البدع والضلال ، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفرق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ، وكثير منها أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتضي ذلك الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار ، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمّة إلا فرقة واحدة ، وهو ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهرا وباطنا وسلم من فتنة الشهوات والشبهات ، وهؤلاء قليل جدا لاسيما في الأزمان المتأخرة »[1] .

ولعل السبب الأعظم هو اتباع الشهوات ، ذلك أن حب الشهوات مغروس في أعماق النفس الإنسانية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2] ، وكثير من الناس يريد الوصول إلى هذه الشهوات عن الطريق التي تهواها نفسه ويحبها قلبه ، ولا يراعي في ذلك شرع الله المنزل ، أضف إلى هذا تمسك الأبناء بميراث الآباء المناقض لشرع الله ﴿ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[3] .

---

(1) التخويف من النار ، لابن رجب ، ص ٢١٤ .

(2) سورة آل عمران : ١٤ .

(3) سورة الزخرف : ٢٣ - ٢٤ .

وإلف ما كان عليه الآباء وتقديسه داء ابتليت به الأمم ، لا يقل أثره عن الشهوات المغروسة في أعماق الإنسان ، إن لم يكن هو شهوة في ذاته .

وقد روى الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله النار ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثمَّ جاء ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع ، قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها » . أخرجه الترمذي وأبو داود ، وزاد النسائي : بعد قوله : « اذهب فانظر إليها » ، « وإلى ما أعددت لأهلها فيها »[1] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره » . أخرجه البخاري ومسلم ، ولمسلم « حفت » بدل : « حجبت »[2] .

قال صديق حسن خان : « والمراد بالشهوات مرادات النفوس ومستلذاتها وأهويتها »[3] ، وقال القرطبي : « الشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها ، وتدعو إليه ، ويوافقها ، وأصل الحفاف الدائر بالشيء المحيط به ، الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى »[4] .

---

(١) جامع الأصول : (١٠/ ٥٢٠) ، ورقمه : ٨٠٦٨ ، وقال المحقق : قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) المصدر السابق : (١٠/ ٥٢٠) ، ورقمه : ٨٠٦٩ .

(٣) يقظة أولي الاعتبار : ص ٢٢٠ .

(٤) المصدر السابق .

المبحث الثالث

أكثر من يدخل النار النساء

أكثر من يدخل النار من عصاة الموحدين النساء ، كما في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، أنه قال في خطبة الكسوف « رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء » .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : « يا معشر النساء تصدَّقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار » فقلن : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » .

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد : « وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » .

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « إن أقل ساكني الجنة النساء » .

وهذا لا ينافي أن كل واحد من أهل الجنة له أكثر من زوجة ، فإن المراد بالنساء اللواتي هن أكثر النار من كان منهن من ذرية آدم ، أمّا زوجات أهل الجنة الكثيرات فهن من الحور العين .

« وإنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا ، لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ، ولميلهن إلى الدنيا والتزين لها ، ومع ذلك هن أقوى أسباب

الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة ، لما فيهن من الهوى والميل لهن ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهنَّ صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهنَّ من المعرضين عن الدين ، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى ، وأعمالها من المتقين »[1] ، ومع ذلك ففيهن صالحات كثير ، يقمن حدود الله ، ويلتزمن شريعته ويطعن الله ورسوله ، ويدخل منهنَّ الجنة خلق كثير ، وفيهن من يسبقن كثيرا من الرجال بإيمانهنَّ وأعمالهن الصالحة .

(١) التذكرة للقرطبي : (١/٣٦٩) .

الفصل السابع

عظم خلق أهل النار

يدخل أهل الجحيم النار على صورة ضخمة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم ، ففي الحديث الذي يرفعه أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ قال : « ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » رواه مسلم[1] . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر ، أو ناب الكافر ، مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث »[2] .

وقال زيد بن أرقم : « إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار ، حتى يكون الضرس من أضراسه كأحد». رواه أحمد وهو مرفوع ، ولكن زيدا لم يصرح برفعه[3] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن غلظ جلد الكافر اثنان

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب يدخلها الجبارون : (٤/٢١٩٠) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون : (٤/٢١٨٩) ، وعزاه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٣٢) إلى مسلم والترمذي والحاكم وابن حبان وأحمد .
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٣١) ، وقال فيه : إسناده صحيح على شرط مسلم .

وأربعون ذراعا ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة » ، رواه الترمذي [1] .

وروى أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وعرض جلده سبعون ذراعا ، وعضده مثل البيضاء ، وفخذه مثل وَرْقَان ، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة » أخرجه الحاكم وأحمد[2] .

وهذا التعظيم لجسد الكافر ليزداد عذابه وآلامه ، يقول النووي في شرحه لأحاديث مسلم في هذا الباب : « هذا كله لكونه أبلغ في ايلامه ، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به »[3] . وقال ابن كثير معلقاً على ما أورده من هذه الأحاديث : « ليكون ذلك أنكى في تعذيبهم ، وأعظم في تعبهم ولهيبهم ، كما قال شديد العقاب : ﴿ليذوقوا العذاب﴾[4] .

---

(١) مشكاة المصابيح : (١٠٣/٣) ، وقال محقق المشكاة : « رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، قلت : وسنده صحيح » .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٤/٣) ، ونسب إلى الحاكم والذهبي تصحيح الحديث ووافقهما على ذلك على ضعف في أحد رواة الحديث وهو ابن إسحق ، وقد ساق المؤلف كثيرا من المتابعات والشواهد للحديث . والبيضاء اسم جبل . أو يعني بها المدينةالمعروفة بالمغرب .

(٣) شرح النووي على مسلم : (١٨٦/١٧) .

(٤) النهاية لابن كثير : (١٣٩/٢) .

الفصل الثامن

طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

طعام أهل النار الضريع والزقوم ، وشرابهم الحميم والغسلين والغساق ، قال تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[1] ، والضريع شوك بأرض الحجاز يقال له الشبرق . وعن ابن عباس : الشبرق : نبت ذو شوك لاطىء بالأرض ، فإذا هاج سمي ضريعا . وقال قتادة : من أضرع الطعام وأبشعه[2] . وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يفيدهم ، فلا يجدون له لذة ، ولا تنتفع به أجسادهم ، فأكلهم له نوع من أنواع العذاب .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[3] . وقد وصف شجرة الزقوم في آية أخرى فقال : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ

---

(١) سورة الغاشية : ٦ ـ ٧ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب : ص ١١٥ .

(٣) سورة الدخان : ٤٣ ـ ٤٦ .

﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾[1] .

وقال في موضع آخر : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾[2] .

ويؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة شجرة خبيثة ، جذورها تضرب في قعر النار ، وفروعها تمتد في أرجائها ، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر ولذلك شبهه برؤوس الشياطين ، وقد استقر في النفوس قبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم ، ومع خبث هذه الشجرة وخبث طلعها ، إلا أن أهل النار يلقى عليهم الجوع بحيث لا يجدون مفرا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت ، فيجدون لذلك آلاما مبرحة ، فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذي تناهى حرّه ، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب وتشرب ولا تروى لمرض أصابها ، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[3] . هذه هي ضيافتهم في ذلك اليوم العظيم ، أعاذنا الله من حال أهل النار بمنه وكرمه .

وإذا أكل أهل النار هذا الطعام الخبيث من الضريع والزقوم غَصّوا به لقبحه وخبثه وفساده ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾[4] ، والطعام ذو الغصة هو الذي يغص به آكله ، إذ يقف في حلقه .

---

(١) سورة الصافات : ٦٢ .
(٢) سورة الواقعة : ٥١ .
(٣) سورة محمد : ١٥ .
(٤) سورة المزمل : ١٢ .

وقد صور لنا الرسول ﷺ شناعة الزقوم وفظاعته ، فقال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، فكيف عن يكون طعامه » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[1] .

ومن طعام أهل النار الغسلين ، قال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾[3] .

والغسلين والغساق بمعنى واحد ، وهو ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد ، وقيل ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم ، وقال القرطبي : هو عصارة أهل النار[4] .

وقد أخبر الحق أن الغسلين واحد من أنواع كثيرة تشبه هذا النوع في فظاعته وشناعته .

أما شرابهم فهو الحميم ، قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[5] ، وقال : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[6] ، وقال : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾[7] ، وقال: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾[8] .

---

(١) مشكلة المصابيح : (١٠٥/٣) ، وراوي الحديث هو ابن عباس .
(٢) سورة الحاقة : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٣) سورة ص : ٥٨ .
(٤) يقظة أولي الاعتبار ، ص ٨٦ .
(٥) سورة محمد : ١٥ .
(٦) سورة الكهف : ٢٩ .
(٧) سورة ابراهيم : ١٦ ـ ١٧ .
(٨) سورة ص : ٥٧ .

وقد ذكرت هذه الآيات أربعة أنواع من شراب أهل النار :

الأول : الحميم ، وهو الماء الحار الذي تناهى حرّه ، كما قال تعالى : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[1] ، والآن : هو الذي انتهى حره ، وقال : ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾[2] ، وهي التي انتهى حرها فليس بعدها حر .

النوع الثاني : الغساق ، وقد مضى الحديث عنه ، فإنه يذكر في مأكول أهل النار ومشروبهم .

النوع الثالث : الصديد ، وهو ما يسيل من لحم الكافر وجلده ، وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ ، قال : « إن على الله عهدا لمن شرب المسكرات ليسقيه طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار » .

الرابع : المهل . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي عن النبي ﷺ في قوله : « كعكر الزيت ، فإذا قرب وجهه سقطت فروة وجهه فيه » .

وقال ابن عباس : في تفسير المهل : « غليظ كدردي الزيت »

أكلهم النار

من أصحاب الذنوب من يطعمه الله جمر جهنم جزاء وفاقا ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[3] .

---

(1) سورة الرحمن : ٤٤ .
(2) سورة الغاشية : ٥ .
(3) سورة النساء : ١٠ .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾(١) .

أما لباس أهل النار فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه يُفَصِّلُ لأهل النار حلل من النار ، كما قال تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾(٢) . وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول : سبحان من خلق من النار ثيابا(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(٤) . والقطران : هو النحاس المذاب . وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة ، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . وخرجه ابن ماجة ولفظه : « النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من جرب » .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٤ .
(٢) سورة الحج :١٩ .
(٣) التخويف من النار : ص ١٢٦ .
(٤) سورة إبراهيم : ٤٩ .

الفصل التاسع

عذاب أهل النار

المبحث الأول

شدة ما يكابده أهل النار من عذاب

النار عذابها شديد ، وفيها من الأهوال وألوان العذاب ما يجعل الإنسان يبذل في سبيل الخلاص منها نفائس الأموال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1] ، وقال الحق في هذا المعنى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى

---

(١) سورة آل عمران : ٩١ .

(٢) سورة المائدة : ٣٦ .

بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ، هل رأيت خيرا قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب »[1] .

إنها لحظات قليلة تنسي أكثر الكفار نعيما كلَّ أوقات السعادة والهناء . وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة : لو أن لك مافي الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا ، وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا ، فأبيت إلا أن تشرك بي »[2] .

إن شدة النار وهولها تفقد الإنسان صوابه ، وتجعله يجود بكل أحبابه لينجو من النار ، وأنى له النجاة : ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[3] .

وهذا العذاب الهائل المتواصل يجعل حياة هؤلاء المجرمين في تنغيص دائم ، وألم مستمر .

---

(1) رواه مسلم ، مشكاة المصابيح : (١٠٢/٣) .

(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٦/١١) وانظر مشكاة المصابيح : (١٠٢/٣) .

(3) سورة المعارج : ١١ .

المبحث الثاني

صور من عذابهم

المطلب الأول

تفاوت عذاب أهل النار

لما كانت النار دركات بعضها أشدُّ عذابا وهولا من بعض كان أهلها متفاوتون في العذاب ، ففي الحديث الذي يرويه مسلم وأحمد عن سمرة ، عن النبي ﷺ ، قال في أهل النار : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته » وفي رواية إلى « عنقه »[1] .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن أخف أهل النار عذابا ، ففي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه » . وفي رواية أخرى في صحيح البخاري أيضا عن النعمان بن بشير : « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل في القمقم »[2] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب شدة حرّ النار ، (٤/٢١٨٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٧) ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان : (١/١٩٦) ، ورقمه ٣٦٣ ، واللفظ للبخاري .

وفي رواية عن النعمان بن بشير عند مسلم : « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار . يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحدا أشدّ منه عذابا ، وإنه لأهونهم عذابا »(١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « إن أدنى أهل النار عذابا ينتعل نعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »(٢) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ ، وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه أم دماغه »(٣) .

وقد جاءت النصوص القرآنية مصدقة لتفاوت أصحاب النار في العذاب كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾(٥) وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾(٦)

يقول القرطبي في هذا الموضوع : « هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك أن الكفار في عذاب

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : (١/ ١٩٦) ، ورقم الحديث : (٣٦٤) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : (١/ ١٩٥) ورقم الحديث : (٣٦١) .
(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/ ٤١٧) ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ، (١/ ١٩٥) ، حديث رقم (٣٦٠) ، وساق فيه عدة أحاديث أخرى .
(٤) سورة النساء : ١٤٥ .
(٥) سورة غافر : ٤٦ .
(٦) سورة النحل : ٨٨ .

جهنم متفاوتون ، كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر ، مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين »[1] .

وقال ابن رجب : « واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي أدخلوا بها النار » ثم ساق الأدلة الدالة على ذلك ، وساق قول ابن عباس : « ليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض،ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك » ، ثم قال ابن رجب « وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم ، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر ، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب ، ولهذا يموت بعضهم في النار »[2] .

المطلب الثاني
إنضاج الجلود

إن نار الجبار تحرق جلود أهل النار ، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق ، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلودا أخرى غير تلك التي احترقت ، لتحترق من جديد ، وهكذا دواليك ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ

---

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٠٩ .
(٢) التخويف من النار : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

﴿ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] .

المطلب الثالث
الصهــر

من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم ، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره ، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾[2] .

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافي جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعود كما كان » ، وقال : حسن غريب صحيح[3] .

المطلب الرابع
اللفــح

أكرم مافي الإنسان وجهه ، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ، ومِنْ إهانة الله لأهل النار أنهم يحشرون في يوم القيامة على وجوههم عميا وصما وبكما ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا

(١) سورة النساء : ٥٦ .
(٢) سورة الحج : ١٩ .
(٣) التخويف من النار لابن رجب : ١٤٥ ، جامع الأصول : (١٠/٥٤٠)

خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(1) ، ويلقون في النار على وجوههم : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(2) ، ثم إن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبدا لا يجدون حائلا يحول بينهم وبينها ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(3) ، ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾(4) ، ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(5) ، ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(6) وانظر إلى هذا المنظر الذي تقشعر لهوله الأبدان : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾(7) ، أرأيت كيف يقلب اللحم على النار ، والسمك في المقلى ، كذلك تقلب وجوههم في النار ، نعوذ بالله من عذاب أهل النار .

المطلب الخامس
السحب

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾(8) ، ويزيد من آلامهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال

---

(1) سورة الإسراء : ٩٧ .
(2) سورة النمل : ٩٠ .
(3) سورة الأنبياء : ٣٩ .
(4) سورة المؤمنون : ١٠٤ .
(5) سورة إبراهيم : ٥٠ .
(6) سورة الزمر : ٢٤ .
(7) سورة الأحزاب : ٦٦ .
(8) سورة القمر : ٤٧ ـ ٤٨ .

والسلاسل ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[1] ، قال قتادة : يسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة[2] .

المطلب السادس
تسويد الوجوه

يسود الله في الدار الآخرة وجوه أهل النار ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[3] . وهو سواد شديد، كأنما حلت ظلمة الليل في وجوههم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4] .

المطلب السابع
إحاطة النار بالكفار

أهل النار هم الكفار الذين أحاطت بهم ذنوبهم ومعاصيهم ، فلم تبق لهم حسنة ، كما قال تعالى في الرد على اليهود الذين قالوا : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ

---

(١) سورة غافر : ٧٠ ـ ٧٢ .

(٢) التخويف من النار ، لابن رجب : ص ١٤٧ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٦ .

(٤) سورة يونس : ٢٧ .

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] ، ولا يكون المرء كذلك إلا إذا كان كافرا مشركا ، يقول صديق حسن خان : « المراد بالسيئة هنا الجنس ، ولا بدَّ أن يكون سببها محيطا به من جميع جوانبه ، فلا تبقى له حسنة ، وسدت عليها مسالك النجاة ، والخلود في النار هو للكفار والمشركين ، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج لما ثبت في السنة متواترا من خروج عصاة الموحدين من النار »[2]

ولما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم ، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولذا فإن النار تحيط بالكفار من كل جهة ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[3]. والمهاد ما يكون من تحتهم، والغواش جمع غاشية ، وهي التي تغشاهم من فوقهم ، والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾[4] ، وقال في موضع آخر : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾[5] ، وقد صرح بالإحاطة في موضع آخر : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[6] .

وقد فسر بعض السلف المهاد بالفرش ، والغواش باللحف[7] .

وتأتي الإحاطة من ناحية أخرى ، ذلك أن للنار سورا يحيط بالكفار ، فلا

---

(١) سورة البقرة : ٨١ .
(٢) يقظة أولي الاعتبار : ص ٦٧ .
(٣) سورة الأعراف : ٤١ .
(٤) سورة العنكبوت : ٥٥ .
(٥) سورة الزمر : ١٦ .
(٦) سورة التوبة : ٤٩ .
(٧) تفسير ابن كثير : (١٦٨/٣) .

يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]

وسرادق النار سورها وحائطها الذي يحيط بها .

المطلب الثامن
اطلاع النار على الأفئدة

ذكرنا أن أهل النار يضخم خلقهم في النار شيئا عظيما ، ومع ذلك فإن النار تدخل في أجسادهم حتى تصل إلى أعمق شيء فيهم ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[2] ،قال بعض السلف في قوله : ﴿ لا تبقي ولا تذر ﴾ ، قال : « تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك »[3] .

وقال الحق تبارك وتعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[4] ، قال محمد بن كعب القرظي : « تأكله النار إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده أنشيء خلقه ، وعن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكي »[5] .

---

(١) سورة الكهف : ٢٩ .

(٢) سورة المدثر : ٢٦ ـ ٣٠ .

(٣) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٤٦ .

(٤) سورة الهمزة : ٤ ـ ٧ .

(٥) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٤٦ .

المطلب التاسع
اندلاق الأمعاء في النار

في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال : « يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار ، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلان ، ما شأنك ، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه »[1] . ثم هو يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه .

ومن الذين يجرون أمعاءهم في النار عمرو بن لحى ، وهو أول من غير دين العرب ، وقد رآه الرسول ﷺ يجرُّ قصبة في النار ،ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب »[2] .

المطلب العاشر
قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم

أعدّ الله لأهل النار في النار سلاسل وأغلالا وقيودا ومطارق ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾[3] ، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا

---

(١) متفق عليه ، مشكاة المصابيح : (٦٤٢/٢) ، حديث رقم : ٥١٣٩ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٦٨٨/٣) ، تسييب السوائب : تشريع سنة عمرو للعرب أحل فيه ما حرّم الله تعالى ، فقد حرّم أنواعا من الأنعام بأسباب لم ينزل الله بها من سلطان ، كأن يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها .

(٣) سورة الإنسان : ٤ .

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] ، والأغلال توضع في الأعناق ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] ، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[3] ، والأنكال : القيود ، سميت أنكالا لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها ، ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا .. ﴾[4] ، والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التي يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون في الدنيا ، وانظر إلى هذه الصورة التي أخبرنا بها الكتاب الكريم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾[5] .

وأعد الله لأهل النار مقامع من حديد ،وهي المطارق التي تهوي على المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار ، فإذا بها تطوح بهم مرة أخرى إلى سواء الجحيم ، ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[6] .

---

(١) سورة المزمل : ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة سبأ : ٣٣ .

(٣) سورة غافر : ٧١ .

(٤) سورة المزمل : ١٢ .

(٥) سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .

(٦) سورة الحج : ٢١ - ٢٢ .

المطلب الحادي عشر
قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار

كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، ويدافعون عنها ، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال ، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار إهانة لعابديها وإذلالا لهم ، ليعلموا أنهم كانوا ضالين ، يعبدون مالا يملك لهم ضراً ولا نفعا ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] .

يقول ابن رجب : « لما عبد الكفار الآلهة من دون الله ، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله ، وتقربهم إليه ، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالا ، ونكاية لهم وإبلاغا في حسرتهم وندامتهم ، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشدَّ في ألمه وحسرته »[2] .

ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر في النار ، ليكونا مما توقد به النار ، تبكيتاً للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله ، ففي الحديث : « الشمس والقمر مكوران في النار »[3] .

يقول القرطبي : « وإنما يجمعان في جهنم ، لأنهما قد عبدا من دون الله ، لا

---

(1) سورة الأنبياء : ٩٨ ـ ٩٩ .

(2) التخويف من النار : ص ١٠٥ .

(3) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ، والبزار والإسماعيلي والخطابي ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١/٣٢) .

تكون النار عذابا لهما ، لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم »[1] .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[2] .

المطلب الثاني عشر
حسرتهم وندمهم ودعاؤهم

عندما يرى الكفار النار يندمون أشدَّ الندم ، ولات ساعة مندم ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] ، وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله ، فيرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار ، فإنه يدعوبالثبور والهلاك ، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[4]. ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يلقون في النار ، ويصلون حرها ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾[5] . وهناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم ، ويدعون ربهم آملين أن يخرجهم من النار ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا

---

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٣٩٢ .
(٢) سورة الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩ .
(٣) سورة يونس : ٥٤ .
(٤) سورة الانشقاق : : ١٠ ـ ١٢ .
(٥) سورة الفرقان : ١٣ ـ ١٤ .

﴿ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[1] ، وهم يعترفون في ذلك الوقت بضلالهم وكفرهم وقلة عقولهم ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[2] ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[3] .

ولكن طلبهم يرفض بشدة ، ويجابون بما تستحق أن تجاب به الأنعام ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[4] .

لقد حق عليهم القول ، وصاروا إلى المصير الذي لا ينفع معه دعاء ولا يقبل فيه رجاء ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5] .

ويتوجه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار ، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم شيئا مما يعانونه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ ﴾[6] .

---

(١) سورة فاطر : ٣٧ .
(٢) سورة الملك : ١٠ .
(٣) سورة غافر : ١٠ .
(٤) سورة المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٨ .
(٥) سورة السجدة : ١٢ ـ ١٤ .
(٦) سورة غافر : ٤٩ ـ ٥٠ .

وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم ﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾[1] .

إنه الرفض لكل ما يطلبون ، لا خروج من النار ، ولا تخفيف من عذابها ، ولا إهلاك ، بل هو العذاب الأبدي السرمدي الدائم ، ويقال لهم آن ذاك : ﴿ فَاصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

هناك يشتد نحيبهم ، وتفيض دموعهم ، ويطول بكاؤهم ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3] ، إنهم يبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون دما ، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر ، ففي مستدرك الحاكم عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل النار ليبكون ، حتى لو أجريت السفن في دموعهم ، لجرت ، وإنهم ليبكون الدم ـ يعني ـ مكان الدمع » . وعن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ : « يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، لو أرسلت فيه السفن لجرت »[4] ، لقد خسر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهليهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان ، واستمع إلى عويلهم وهم يرددون حال العذاب ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ

---

(١) سورة الزخرف : ٧٧ .

(٢) سورة الطور : ١٦ .

(٣) سورة التوبة : ٨٢ .

(٤) أورد الشيخ ناصر الحديثين في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤/٢٤٥) حديث رقم ١٦٧٩ ، وعزا الحديث الأول منهما إلى الحاكم في مستدركه ، وقد قال فيه الحاكم : « حديث صحيح الإسناد » . ووافقه الذهبي قال الشيخ ناصر : وحقه أن يزيد : على شرط الشيخين « فإن رجاله كلهم من رجالهما ، وذكر أن أحد رجاله وهو أبو النعمان ويلقب (بعارم) كان قد اختلط ،وساق الشيخ ناصر الحديث الثاني شاهدا للأول ، وعزاه إلى ابن ماجة وابن أبي الدنيا ، ويزيد الرقاس أحد رواته ضعيف ، وباقي رجاله رجال الشيخين .

وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[1] .

وتأمل قوله تعالى يصف حالهم ، ونعوذ بالله من حالهم : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ ربك ﴾[2] ، قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جدًا . وقيل الزفير: ترديد النَّفَس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع ، والشهيق النَّفَس الطويل الممتد ، أو ردُّ النفس إلى الصدر ، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه .

وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس[3] .

---

(١) سورة الأحزاب : ٦٦ .

(٢) سورة هود : ١٠٦ .

(٣) يقظة أولي الاعتبار ، لصديق حسن خان ص ٧٢ .

الفصل العاشر

كيف يتقي الإنسان نار الله

لما كان الكفر هو السبب في الخلود في النار فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل الصالح ، ولذا فإن المسلمين يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم كي يخلصهم من النار ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] ، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[2] .

وقد فصَّلت النصوص هذا الموضوع فبينت الأعمال التي تَقي النار ، فمن ذلك محبة الله ، ففي مستدرك الحاكم ومسند أحمد عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لا يلقي الله حبيبه في النار »[3] ، والصيام جنة من النار ، ففي مسند أحمد ، والبيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن عن جابر بن عبدالله عن

---

(١) سورة آل عمران : ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١ ـ ١٩٤ .

(٣) حديث صحيح ، انظر صحيح الجامع ١٠٤/٦ ، ورقم الحديث : (١٠٤/٦) .

النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : الصيام جنة يستجن بها من النار »[1] ، وعند البيهقي في الشعب من حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ : « الصوم جنة من عذاب الله » ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وإسناده صحيح[2] ، أما إذا كان الصوم في حال جهاد الأعداء فذاك الفوز العظيم ، فعن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صام يوما في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا » ، رواه أحمد ، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي[3] .

ومما ينجي من النار مخافة الله ، والجهاد في سبيل الله ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[4] ، وروى الترمذي والنسائي في سننهما عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم »[5] ، وفي صحيح البخاري عن أبي عبس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله ، فتمسه النار »[6] ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا »[7] .

ومما يقي العبد من النار استجارة العبد بالله من النار ، ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[8] ، وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجة وصحيح ابن حبان ومستدرك

---

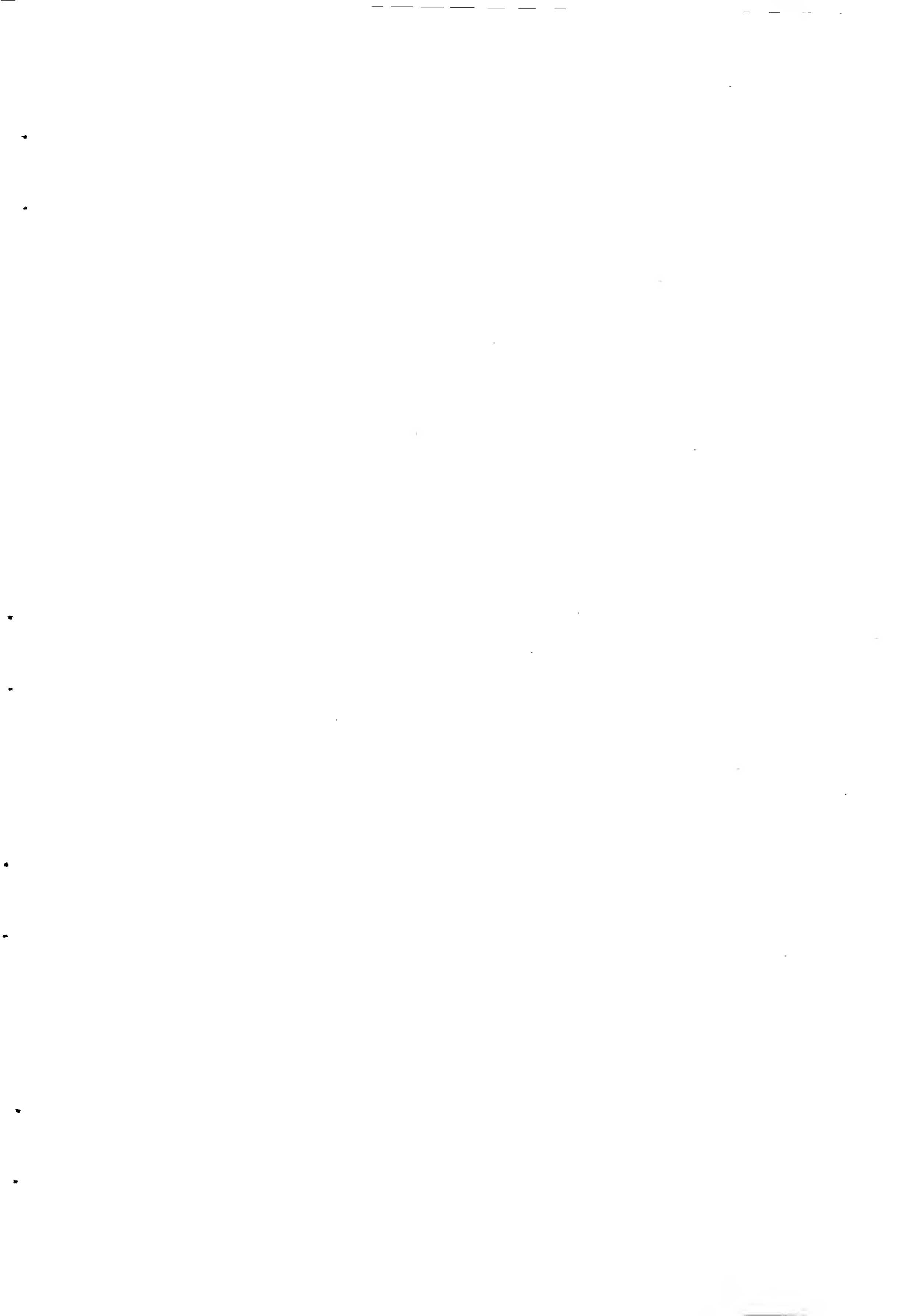
(١) صحيح الجامع : (١١٤/٤) .
(٢) صحيح الجامع : (٢٦٤/٣) .
(٣) صحيح الجامع : (٣١٠/٥) .
(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .
(٥) مشكاة المصابيح : (٣٥٦/٢) ، حديث رقم : ٣٨٢٨ ، وقال المحقق: في إسناده : صحيح .
(٦) مشكاة المصابيح : (٣٤٩/٢) ، ورقمه : ٣٧٩٤ .
(٧) مشكاة المصابيح : (٣٤٩/٢) ، ورقمه ٣٧٩٥ .
(٨) سورة الفرقان : ٦٥ .

الحاكم بإسناد صحيح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما سأل أحد الله الجنة ثلاثا ، إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنّة ، ولا استجار رجل مسلم الله من النار ثلاثا ، إلا قالت النار : اللهمَّ أجره مني »[1] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه : أن الله عز وجل يسألهم وهو أعلم بهم ، فيقول : « فمم يتعوذون ؟ فيقولون : من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، فيقول كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فرارا ، وأشدَّ مخافة ، فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم »[2] .

---

(١) صحيح الجامع : (١٤٥/٥) ، ورقمه : ٥٥٠٦ .
(٢) صحيح الجامع : (٢٣٣/٢) ، ورقمه : ٢١٦٩ ، وعزاه إلى البخاري ومسلم وأحمد .



البَابُ الثَّانِي

الجَنَّة

تمهيد : تعريف وبيان

الجنة هي الجزاء العظيم ، والثواب الجزيل ، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته ، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص ، ولا يعكر صفوه كدر ، وما حدثنا الله به عنها ، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله ، لأن تصوُّر عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه .

استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر** » ثم قال الرسول ﷺ : اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1][2] .

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا ، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير ، لا يساوي شيئا . ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « **موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها** »[3] .

ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم ، والفوزالكبير ، والنجاة العظمى قال تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة النار . فتح الباري : (٦/٣١٨) . ورقم الحديث : ٣٢٤٤ .

(٣) فتح الباري :(٦/٣١٩) . والنووي على مسلم : (١٧/١٦٦)

وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1] وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] وقال أيضا : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] .

---

(1) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(2) سورة التوبة : ٧٢

(3) سورة النساء : ١٣

الفصل الأول

دخول الجنة

لا شك أن سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يساقون معززين مكرمين زمرا زمرا إلى جنات النعيم ، حتى إذا ما وصلوا إليها فتحت أبوابها ، واستقبلتهم الملائكة الكرام يهنئونهم بسلامة الوصول ، بعدما عانوه من الكربات ، وشاهدوه من الأهوال ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1] ، أي طابت أعمالكم وأقوالكم وعقائدكم ، فأصبحت نفوسكم زاكية ، وقلوبكم طاهرة ، فبذلك استحققتم الجنات .

---

(١) سورة الزمر : ٧٢

المبحث الأول

الشفاعة في دخول الجنة

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم الجزاء يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة ، فكلهم يتمنع ويتأبى ، ويقول : لست لها حتى يبلغ الأمر نبينا محمداً ﷺ فَيَشْفَعُ في ذلك ، فَيُشَفَّعُ ، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون ، حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ، لست بصاحب ذلك . . . »[1] الحديث. وذكر فيه تدافع الأنبياء لها ، حتى يأتون محمدا ﷺ ، فيؤذن لهم .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (١٨٦/٤) ، ورقمه : ١٩٥

المبحث الثاني

تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل الدخول

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ، ثم يهذّبون وينقّون ، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا ، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهارا أبرارا ، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ، ولا يطلب بعضهم بعضا بشيء .

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا »[1] .

وقد سبق أن ذكرنا في « أحاديث الشفاعة » في « القيامة » أن رسولنا ﷺ هو أول من يستفتح الجنة بعد أن يأبى أبو البشر آدم وأولو العزم من الرسل التعرض لهذه المهمة .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ، فتح الباري : (٣٩٥/١١) .

المبحث الثالث

الأوائل في دخول الجنة

أول البشر دخولا الجنة على الإطلاق هو رسولنا محمد ﷺ ، وأول الأمم دخولا الجنة أمته ، وأول من يدخل الجنة من هذه الأمـة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد ساق ابن كثير الأحاديث الواردة في ذلك[1] فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يقرع باب الجنة » .

وروى مسلم عن أنس أيضا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »

وثبت في الصحيحين وسنن النسائي ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة » .

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « أتاني جبريل ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي » .

---

(١) النهاية لابن كثير : (٢/٢١٣)

المبحث الرابع
الذين يدخلون الجنة بغير حساب

أول زمرة تدخل من هذه الأمة الجنة هم القمم الشامخة في الإيمان والتقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفا واحدا ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، صورهم على صورة القمر ليلة البدر .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا »[1] .

وروى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف ـ لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »[2] .

وقد صح أن الله أعطى رسوله ﷺ مع كل واحد من السبعين هؤلاء سبعين ألفا ، ففي مسند أحمد بإسناد صحيح عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) ، ورواه مسلم والترمذي وغيرهما .
(٢) المصدر السابق ، فتح الباري : (٣١٩/٦) .

ﷺ قال : « أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي عز وجل ، فزادني مع كل واحد سبعين ألفا »[1] وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وصحيح ابن حبان عن أبي أمامة بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بلا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ، وثلاث حثيات من حثيات ربي »[2]. فذكر في هذا الحديث زيادة ثلاث حثيات .

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفا الأوائل وبَيَّنَ علاماتهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « عرضت عليَّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمرُّ وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل ، هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير . قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : اللهمَّ اجعله منهم . ثم قام إليه رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : سبقك بها عكاشة »[3] .

ولعل هؤلاء هم الذين سماهم الحق بالمقربين ، وهم السابقون ،

---

(١) صحيح الجامع : (١/٣٥٠) ، ورقمه : ١٠٦٨

(٢) صحيح الجامع : (٦/١٠٨) . ورقمة : ٦٩٨٨

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، فتح الباري : (١١/٤٠٥)

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1]،

وهؤلاء ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الواقعة: ١٠ ـ ١٢

(٢) سورة الواقعة: ١٣ ـ ١٤

المبحث الخامس

الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة

روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا »[1] .

وروى الترمذي عن أبي سعيد ، وأحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام »[2] .

وقد بَيَّن الرسول ﷺ في موضع آخر أن هؤلاء لم يكن عندهم شيء يحاسبون عليه ، هذا مع جهادهم وفضلهم ، أخرج الحاكم في مستدركه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : فقراء المهاجرين ، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ، ويستفتحون ، فيقول لهم الخزنة : أوقد حوسبتم ؟ فيقولون : بأي شيء نحاسب ، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك ؟ قال : فيفتح لهم ، فيقيلون فيه أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس »[3]

---

(١) مشكاة المصابيح : (٦٦٣/٢) ، ورقمه : ٥٢٣٥

(٢) صحيح الجامع : (٩٠/٤) ورقمه : ٤١٠٤

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٥٣٢/٢) ، ورقمه : ٨٥٣ ، وقد قال الشيخ ناصر فيه : أخرجه الحاكم ؛ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، أقول (الشيخ ناصر) : إنما هو على شرط مسلم فقط .

وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال : « قمت على باب الجنة فكان عامَّة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجدِّ محبوسـون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار »[1] وأصحاب الجد هم الأغنياء من المسلمين .

وقد وقع في الأحاديث السابقة أن الفقراء يسبقون الأغنياء بأربعين خريفاً، وجاء في حديث آخر بخمسمائة عام ، ووجه التوفيق بين الحديثين أن الفقراء مختلفـو الحال ، وكذلك الأغنياء ـ كما يقول القرطبي ـ[2] فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم ، والأغنياء كذلك ، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولا الجنة وآخر الأغنياء دخولا الجنة فتكون المدة خمسمائة عام ، أما إذا نظرت إلى آخر الفقراء دخولا الجنة وأول الأغنياء دخولا الجنة فتكون المدة أربعين خريفا ، باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء والله أعلم »[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٢/٣٤٥) .
(٢) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٧٠
(٣) النهاية لابن كثير : (٢ /٣٤٥)

المبحث السادس
أول ثلاثة يدخلون الجنة

روى الترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه »[1] .

(1) جامع الأصول : (١٠/٥٣٥) ، وعزاه محقق الجامع إلى أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في السنن .

المَبحَث السَابع
دخول عصاة المؤمنين الجنة

المطلب الأول
إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أمّا أهل النار الذين هم أهلها ؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن[1] ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر[2] ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبّة تكون في حميل السيل »[3] .

ولمسلم من حديث جابر بن عبدالله يرفعه إلى رسول الله ﷺ : « إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها ، إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة »[4]

وهؤلاء الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة يسميهم أهل الجنة

---

(١) لكنْ هنا مخففة مهملة لا تعمل .

(٢) جماعات جماعات .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، (١٧٢/١) .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، (١٧٨/١) . ودارات وجوههم : ما يحيط بالوجه من جوانبه .

بالجنهميين ، ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنميين »[1] .

وفي الصحيح أيضا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يخرج[2] من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير ، قلت : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيس »[3] .

وروى البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سَفْعٌ ، فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة : الجهنميين »[4] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة الطويل في وصف الآخرة : « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ، ممن أراد الله أن يرحمه ، ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا[5] ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه ، كما تنبت الحبة في حميل السيل »[6] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٨) ولهم ذكر في حديث جابر عند مسلم : (١/١٧٩) .

(٢) أي قوم .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٦) والثعارير : قثاء صغار ، والضغبوس : نبت يخرج قدر شبر في دقة الأصبع لا ورق له ، وفيه حموضة . والمقصود (وصفهم بالبياض والدقة) .

(٤) المصدر السابق ، فتح الباري : (١١/٤١٦) .

(٥) احترقوا .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الرؤية : (١/٢٩٩) حديث رقم : (١٨٢)

وقد ورد في أكثر من حديث أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان ، بل يخرج أقواما لم يعملوا خيرا قط ، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : « انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه . . . »[1] .

وفي حديث جابر بن عبدالله في ورود النار : « ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير مثقال شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ، حتى ينبتوا نبات الشيء في حميل السيل . ويذهب حراقه[2] ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها »[3] .

وفي حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه ما يزن بره ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة »[4] . والأحاديث في هذا كثيرة .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين : (١٧٢/١)
(٢) حراقه : معناه أثر النار ، والضمير في « حراقه » يعود على المخرجين .
(٣) صحيح مسلم ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (١٧٨/١)
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (١٨٢/١)

المطلب الثاني
موقف الفرق من الشفاعة

أنكرت الخوارج والمعتزلة[1] شفاعة الشافعين في أهل الكبائر والذين أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها ، والذين دخلوها أن يخرجوا منها ، قال القرطبي : « وهذه الشفاعة أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح »[2] .

وهذه المقولة المضادة للأحاديث الصحيحة المتواترة برزت والصحابة أحياء ، روى مسلم في صحيحه عن يزيد الفقير، قال: « كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد الحج ، ثم نخرج على الناس ، قال فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم ، جالس إلى سارية ، عن رسول الله ﷺ ، قال : فإذا هو ذكر الجهنميين ، قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ، ما هذا الذي تحدِّثون به والله يقول : ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾[3] ، و ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾[4] ؟ فما هذا الذي تقولون ؟ قال : فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي يبعثه الله فيه) ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال : ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه ، قال : وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك ، قال : غير أنه قد زعم أن قوما

---

(١) الخوارج فرقة خرجت بعد معركة صفين كفرت عليا ومعاوية ، ومن معهما ، وزعمت أن أهل المعاصي مخلدون في النار ، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء ذهبوا مذهب المعتزلة ، في القول بتخليد أصحاب الكبائر في النار ، وتوقفوا في أمرهم في الدنيا .

(٢) التذكرة للقرطبي : ص ٢٤٩

(٣) سورة آل عمران : ١٩٢

(٤) سورة السجدة : ٢٠

يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها . قال : يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم ، قال : فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه ، فيخرجون كأنهم القراطيس[1] ، فرجعنا قلنا : ويحكم ، أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا . فلا والله ، ما خرج منا غير رجل واحد »[2] .

والخوارج والمعتزلة تطرفوا في هذه المسألة إذ زعموا أن أهل الكبائر لا يخرجون من النار ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، كما أن المرجئة تطرفوا في الجانب المقابل حيث لم يقطعوا بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويزعمون أن أهل الكبائر جميعا في الجنة من غير عذاب ، وكلا الفريقين مخالف للسنة المتواترة الثابتة عن الرسول ﷺ ، وهم مخالفون لإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد هدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، حيث ذهبوا إلى أن أهل الكبائر تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر لهم برحمته ، وإن شاء عذبهم بذنوبهم ، ثم أدخلهم الجنة برحمته ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4] فالشرك لا يغفره الله ، وما دونه تحت المشيئة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وحجة الخوارج في نفي هذه الشفاعة الآيات الواردة في نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ، فأهل الشرك يعتقدون أن الشفاعة عند الله كالشفاعة في الدنيا ، يشفع الشافع عند غيره بدون إذن منه ، ويشفع الشافع عند غيره وإن لم يرض عن المشفوع له ، وهذا لا يكون عند الله تبارك وتعالى ، وقد جاءت النصوص بإبطال هذا النوع من الشفاعة ،

---

(١) القراطيس : الصحف التي يكتب فيها .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، (١/١٧٩) ، ورقمه : ١٩١
(٣) سورة النساء : ٤٨
(٤) سورة الزمر : ٥٣

كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾[1] . وقال : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[3] ، وقد جاءت النصوص مبينة أن الشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه ، ولا تكون إلا بعد أن يرضى عن الشافع والمشفوع له : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[4] وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[5] ، وقال : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[6] ، وقال عن الملائكة أيضا : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[7] ، وقال : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[8] .

فهذه النصوص تنفي تلك الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين وتبطلها ، وتثبت الشفاعة التي تكون بإذن الله ورضاه عن الشافع والمشفوع ، والله لا يرضى عن الكفرة المشركين ، أمّا عصاة أهل التوحيد ، فيشفع فيهم الشافعون ، ولا يشفعون لمشرك . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه »[9] .

---

(١) سورة البقرة : ٤٨
(٢) سورة المدثر : ٤٨
(٣) سورة غافر : ١٨
(٤) سورة البقرة : ٢٥٥
(٥) سورة الأنبياء : ٢٨
(٦) سورة النجم : ٢٦
(٧) سورة الأنبياء : ٢٨
(٨) سورة سبأ : ٢٣
(٩)رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٨)

المبحث الثامن

آخر من يدخل الجنة

حدثنا الرسول ﷺ قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة ، وما جرى من حوار بينه وبين ربه ، وما أعطاه الله من الكرامة العظيمة التي لم يُصَدِّق أن الله أكرمه به لعظمها ، وقد جمع ابن الأثير روايات هذا الحديث في جامع الأصول ، ومنه نقلنا هذه الأحاديث[1] .

١ ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة : رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ؛ فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب ، وجدتها ملأى ، فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة ؛ فإن لك مثل الدنيا ، ، وعشرة أمثالها ؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا ، فيقول : أتسخر بي ـ أو أتضحك بي ـ وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » أخرجه البخاري ومسلم .

ولمسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار : رجل يخرج منها زحفا ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة ، قال : فيذهب فيدخل الجنة ، فيجد الناس قد أخذوا المنازل ، فيقال له :

---

(١) جامع الأصول : (١٠/٥٥٣)

أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : تمن ، فيتمنى فيقال له : لك الذي تمنيت ، وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بي وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه » وفي رواية الترمذي مثل هذه التي لمسلم .(١)

٢ ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة ، فيقول : يارب ، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟ فيقول : لا ، يارب ، ويعاهده أن لايسأله غيرها، قال: وربه عز وجل يعذره،لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب ، أدنني من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه تعالى يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة ، وهي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يارب لا أسألك غيرها ـ وربه عز وجل

(١) رواه البخاري : (١١/٣٨٦) في الرقاق ، باب في صفة الجنة والنار ، وفي التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم رقم : ١٨٦ في الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً ، والترمذي رقم : ٢٥٩٨ في صفحة جهنم ، باب رقم ١٠ .

يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، ما يصريني منك[1] ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب ، أتستهزيء مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ . فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : من ضحك رب العالمين ، حين قال : أتستهزيء مني وأنت رب العالمين؟ فيقول : إني لا أستهزيء منك ، ولكني على ما أشاء قادر » أخرجه مسلم[2] .

وهذا الحديث هكذا أخرجه الحميدي وحده في أفراد مسلم ، والذي قبله في المتفق عليه ، وقال : إنما أفردناه للزيادة التي فيه .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة : رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال ، أي رب ، قربني من هذه الشجرة لأكون في ظلها . . وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ، ولم يذكر : فيقول : يا ابن آدم ، ما يصريني منك ؟ . . إلى آخر الحديث » .

وزاد فيه : « ويذكّره الله ، سل كذا وكذا ، فإذا انقطعت به الأماني ، قال الله : هو لك وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك ، قال : « فيقول : ما اعطي أحد مثل ما أعطيت» أخرجه مسلم هكذا عقيب حديث ابن مسعود[3] .

---

(١) (ما يصريني) أي ما الذي يرضيك ، ويقطع مسألتك ، وأصل التصرية : القطع والجمع ، ومنه الشاة المصراة ، وهي التي جمع لبنها وقطع حلبه .

(٢) رقم ١٨٧ في الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً .

(٣) رواه مسلم رقم : ١٨٨ في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

المبحث التاسع

الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة

أول من دخل الجنة من البشر هو أبو البشر آدم ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[1] ،وقال : ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2] ، ولكن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فأهبطه الله من الجنة إلى دار الشقاء : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[3] .

وقد رأى الرسول ﷺ الجنة ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « اطلعت في الجنة فرأيت أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أهلها النساء »[4] .

---

(١) سورة البقرة : ٣٥

(٢) سورة الأعراف : ١٩

(٣) سورة طه : ١١٥ ـ ١٢٣

(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦)

ومن الذين يدخلون الجنة قبل يوم القيامة الشهداء ، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] الآية ، قال : « إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في أجواف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا : قالوا : يارب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »[2] .

ومن مات عرض عليه مقعده من الجنة والنار بالغداة والعشي ، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعدة بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »[3].

(١) سورة آل عمران : ١٦٩
(٢) مشكاة المصابيح : (٢/٣٥١) ، ورقمه : ٣٨٠٤
(٣) رواه مسلم في صحيحه ، انظر مسلم بشرح النووي : (١٧/٣٠٠)

الفصل الثاني
الجنة خالدة وأهلها خالدون

المبحث الأول
النصوص الدالة على ذلك

الجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد ، وأهلها فيها خالدون ، لا يرحلون عنها ولا يظعنون ، ولا يبيدون ولا يموتون ، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[2]

وقد سقنا عند الحديث عن خلود النار ـ الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ذبح الموت بين الجنة والنار ، ثم يقال لأهل الجنة ولأهل النار : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » .

إن مقتضى النصوص أن الجنة تخلق خلقا غير قابل للفناء ، وكذلك أهلها ،

---

(١) سورة الدخان : ٥٦

(٢) سورة الكهف : ١٠٧

ففي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم ، لا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه »[1] .

واستمع إلى النداء العلوي الرباني الذي ينادي به أهل الجنة بعد دخلوهم الجنة ، « إنّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبتئسوا أبدا ، فذلك قوله عز وجل[2] ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[3] .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ، باب في دوام نعيم الجنة ، (٢١٨١/٤) ، ورقمه : ٢٨٣٦ .

(٢) سورة الأعراف : ٤٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب دوام نعيم الجنة : (٢١٨٢/٤) ، ورقمه : ٢٨٣٧

المبحث الثاني
القائلون بفناء الجنة

قال بفناء الجنة كما قال بفناء النار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامّة أهل السنة . وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة قال بفناء حركات أهل الجنة والنار ، بحيث يصيرون إلى سكون دائم ، لا يقدر أحد منهم على حركة[1] ، وكل هذا باطل ، قال شارح الطحاوية : « فأمّا أبدية الجنة ، وأنها لا تفنى ولا تبيد ، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] ، أي غير مقطوع ، ولا ينافي ذلك قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[3] [4] » وقد ذكر شارح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال : « واختلف السلف في هذا الاستثناء : فقيل : معناه إلا مدة مكثهم في النار ، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها ، لا لكلهم . وقيل : إلا مدة مقامهم في الموقف . وقيل : إلا مدة مقامهم في القبور والموقف . وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله ، كما تقول : والله لأضربنك إلا أن

---

(١) راجع شرح الطحاوية : ص ٤٨٠ .
(٢) سورة هود : ١٠٨ .
(٣) سورة هود : ١٠٨ .
(٤) شرح الطحاوية : ٤٨١ .

أرى غير ذلك ، وأنت لا تراه ، بل تجزم بضربه . وقيل : « إلا » بمعنى الواو ، وهذا على قول بعض النحاة ، وهو ضعيف . وسيبويه يجعل إلا بمعنى لكن ، فيكون الاستثناء منقطعاً ، ورجحه ابن جرير وقال : إن الله تعالى لا خلف لوعده ، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1] . قالوا : ونظيره أن تقول : أسكنتك داري حولا إلا ما شئت ، أي سوى ما شئت ، ولكن ما شئت من الزيادة عليه . وقيل : الاستثناء لإعلامهم بأنهم - مع خلودهم - في مشيئة الله ، لأنهم لايخرجون عن مشيئته ، ولاينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3] ، وقوله : ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[4] - ونظائره كثيرة ، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقيل : إن « ما » بمعنى « من » أي : إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء . وقيل غير ذلك .

وعلى كل تقدير ، فهذا الاستثناء من المتشابه ، وقوله : ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[5] . وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[6] . وقوله : ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[7] . وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع

---

(١) سورة هود : ١٠٨ .
(٢) سورة الإسراء : ٨٦ .
(٣) سورة الشورى : ٢٤ .
(٤) سورة يونس : ١٦ .
(٥) سورة هود : ١٠٨ .
(٦) سورة ص : ٥٤ .
(٧) سورة الرعد : ٣٥ .

من القرآن، وأخبر أنهم : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [1]. وهذا الاستثناء منقطع ، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [2]- تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدةالخلود ، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت ، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها »[3] .

---

(١) سورة الدخان : ٥٦ .

(٢) سورة هود : ١٠٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٨١ .

الفصل الثالث

صفة الجنة

المبحث الأول

الجنة لا مثل لها

نعيم الجنة يفوق الوصف ، ويقصر دونه الخيال ، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا ، ومهما ترقى الناس في دنياهم ، فسيبقى ما يبلغونه أمراً هينا بالنسبة لنعيم الآخرة ، فالجنة كما ورد في بعض الآثار لا مثل لها ، « هي نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبدا ، في حَبْرة ونَضْرة ، في دور عالية سليمة بهية »[1] .

وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن بناء الجنة ، فأسمعنا الرسول ﷺ في الإجابة وصفا عجبا ، يقول عليه السلام في صفة بنائها : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر[2] ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها

---

(١) هذا نص حديث أورده ابن ماجه في سننه ، في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ، (١٤٤٨/٢) ، ورقمه : ٤٣٣٢ ، ولم ننسبه إلى الرسول ﷺ لأن في اسناده مقالا ، وإن كان ابن حبان أورده في صحيحه ، ومعناه جميل تشهد له النصوص من الكتاب والسنة .

(٢) الملاط : المادة التي توضع بين اللبنتين .

الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم »[1] ، وصدق الله حيث يقول : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[2] .

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول ، ولا تصل إلى كنهه الأفكار ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[4] »[5] ورواه مسلم من عدة طرق عن أبي‌هريرة وجاء في بعض طرقه : « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا ، بلْه[6] ما أطلعكم الله عليه ، ثمَّ قرأ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[7] »[8] ورواه مسلم عن سهل بن سعد الساعدى قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال ﷺ في آخر حديثه :

---

(١) رواه أحمد والترمذي والدارمي ، انظر مشكاة المصابيح : (٣/ ٨٩) ، وهو صحيح بطرقه كما أشار إلى ذلك محقق المشكاة .

(٢) سورةالانسان: ٢٠ .

(٣) سورة السجدة : ١٧ .

(٤) سورة السجدة : ١٧ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٦/ ٣١٨) .

(٦) بَلْه : بفتح الباء وسكون اللام ، ومعناها : دع ما أطلعكم الله عليه ، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم ، وكأنه أضرب عنه استقلالا له في جنب مالم يطلع عليه . أفاده النووي في شرحه على مسلم (١٧/ ١٦٦) .

(٧) سورة السجدة : ١٧ .

(٨) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها : (٢/ ٢١٧٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٤ .

« فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] »[2] .

---

(١) سورة السجدة : ١٦ ـ ١٧ .

(٢) رواه مسلم ، حديث رقم : ٢٨٢٤ .

المبحث الثاني
أبواب الجنة

للجنة أبواب يدخل منها المؤمنون كما يدخل منها الملائكة ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾(١) ، ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(٢) ، وأخبرنا الحق تبارك وتعالى أن هذه الأبواب تفتح عندما يصل المؤمنون إليها ، وتستقبلهم الملائكة محيية بسلامة الوصول : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(٣) .

وعدد أبواب الجنة ثمانية ، وأحد هذه الأبواب يسمى الريّان وهو خاص بالصائمين ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريّان ، لا يدخله إلا الصائمون ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل غيرهم »(٤) .

وهناك باب للمكثرين من الصلاة ، وباب للمتصدقين ، وباب للمجاهدين ، بالإضافة إلى باب الصائمين المسمى بالريّان ، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله ، دعي من أبواب الجنة ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل

---

(١) سورة ص : ٥٠ .
(٢) سورة الرعد : ٢٣ .
(٣) سورة الزمر : ٧٣ .
(٤) النهاية لابن كثير : (٢/٢١٤) .

الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام » .

فقال أبو بكر : والله ما على أحد من ضرر دعي من أيها دعي ، فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم »[1] .

وسؤال أبي بكر يريد به شخصاً اجتمعت فيه خصال الخير ، من صلاة ، وصيام ، وصدقة ، وجهاد ، ونحو ذلك ، بحيث يدعى من جميع تلك الأبواب ، وقد أخبر الرسول ﷺ أن الذي ينفق زوجين في سبيل الله يدعى من أبواب الجنة الثمانية ، وأخبر الرسول ﷺ أن الذي يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يرفع بصره إلى السماء ، فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء .

فقد روى مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، وأهل السنن عن أمير المؤمنين عمر ين الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع بصره إلى السماء ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء »[2] .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه خص الذين لا حساب عليهم بباب خاص بهم دون غيرهم وهو باب الجنة الأيمن ، وبقيتهم يشاركون بقية الأمم في الأبواب الأخرى ، ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة « فيقول الله :

---

(١) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢١٤) .
(٢) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢١٩) .

يامحمد : أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر » ثم بين في هذا الحديث سعة أبواب الجنة ، وأن ما بين جانبي الباب كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى ، ففي الحديث السابق المتفق عليه يقول الرسول ﷺ : « والذي نفس محمد بيده : إن بين المصراعين من مصاريع الجنة ، أو ما بين عضادتي الباب ، كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى »[١] .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن أبواب الجنة تفتح في رمضان ، ففي الصحيحين ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء ، وفي رواية : « فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار »[٢] .

وورد في بعض الأحاديث أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة ، فقد روى أحمد في « مسنده » وأبو نعيم في « الحلية » عن حكيم بن معاوية عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم ، وإنه لكظيظ » وإسناده صحيح .

ورواه مسلم وأحمد عن عتبة بن غزوان قال : « لقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم ، وإنه لكظيظ من الزحام » .

---

(١) النهاية لابن كثير : (٢/٢٢١) .
(٢) مشكاة المصابيح : (١/٦١٢) .

ورواه الطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن سلام : « إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، يزاحم عليه كازدحام الإبل وردت لخمس ظما »[1] .

---

(١) هذا التحقيق أخذناه بشيء من الاختصار من سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني : (٤/٢٧٣) ، ورقم الحديث : ١٦٩٨ .

المبحث الثالث

درجـــات الجنــة

المطلب الأول

الأدلة على أن الجنة درجات ، وأهلها فيها متفاوتون في الرفعة

الجنة درجات بعضها فوق بعض ، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾[1] .

ومن الذين وضحوا هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : « والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما ، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال تبارك وتعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[2] .

فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

---

(١) سورة طه : ٧٥ .

(٢) سورة الإسراء : ١٨ ـ ٢١ .

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[1] . فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا . وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا ، وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين . فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . وفي الصحيحين عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾[5] . وقال

(١) سورة الإسراء : ٢١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(٣) سورة الإسراء : ٥٥ .
(٤) سورة الحديد : ١٠ .
(٥) سورة النساء : ٩٥ ـ ٩٦ .

تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2] وقال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3] »[4].

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، فقالوا : يارسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله ، فأسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه قال : وفوقه عرش الرحمن ـ ومنه تفجر أنهار الجنة »[5] وثبت في الصحيح أيضا عن أنس أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر ، أصابه سهم غرب ، فقالت : يارسول الله ، قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى

---

(١) سورة التوبة : ١٩ .

(٢) سورة الزمر : ٩ .

(٣) سورة المجادلة : ١١ .

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (١١/ ١٨٨) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله : فتح الباري : (٦/ ١١) .

ما أصنع ، فقال لها : أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى »[1] .

وقد بين الرسول ﷺ أن أهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم فيها ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر[2] في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم . قالوا : يارسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[3] . وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما »[4] . قال القرطبي : « اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع . . . . وقوله : « والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولم يذكر عملا ، ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات ، وأرفع الدرجات ، وهذا محال ، وقد قال الله تعالى :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٨) .

(٢) الغابر : الذاهب أو الباقي ، فإنَّ غَبَر من الأضداد ، يقال : غبر إذا ذهب ، وغبر إذا بقى ، ويعني به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيرا لبعده .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٦/٢٢٠) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف ، (٤/٢١٧٧) ، ورقمه : ٢٨٣١ .

(٤) صحيح الجامع الصغير ، (٢/١٨٧) ، ورقمه : ٢٠٢٦ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[1] ، والصبر بذل النفس والثبات له وقوفا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين ، وقال في آية أخرى :

﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[2] ، فذكر شأن الغرفة ، وأنها لا تنال بالأموال والأولاد ، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين أن لهم جزاء الضعف ، وأنَّ محلهم الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به ، مطمئنا به في كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملا صالحا ، فلا يخلطه بضده ، وهو الفاسد ، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا ، فلهذا كانت منزلته دون غيره »[3] .

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم ، فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافونه جنتين ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[4] ، ووصفهما ، ثم قال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[5] ، أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة ، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخراً علم أنهما دون الأوليين في الفضل، فالأوليان للمقربين ، والأخريان لأصحاب اليمين ، كما قال ابن عباس وأبو موسى الأشعري[6] ، قال القرطبي : « لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾[7] ، وقال في الأخريين : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ

---

(١) سورة الفرقان : ٧٥ .
(٢) سورة سبأ : ٣٧ .
(٣) التذكرة للقرطبي : ص ٤٦٤ .
(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .
(٥) سورة الرحمن : ٦٢ .
(٦) التذكرة للقرطبي : ٤٤٠ .
(٧) سورة الرحمن : ٥٠ .

نَضَّاخَتَانِ ﴾[1] ، أي فوارتان بالماء ، ولكنهما ليستا كالجاريتين ، لأن النضخ دون الجري ، وقال في الأولين : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[2] ، معروف وغريب ، رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[3] ، ولم يقل من كل فاكهة زوجان ، وقال في الأولين : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[4] ، وهو الديباج ، وفي الأخريين : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[5] ، والعبقرى الوشي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرفرف كسر الخبا ، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من الخبا ، وقال في الأولين في صفة الحور العين : ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[6] ،وفي الأخريتين : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾[7] ، وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان ، وقال في الأولين: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[8] ، وفي الأخيرتين : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾[9] ، أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان ، ووصف الأولين بكثرة الأغصان ، والآخرتين بالخضرة وحدها »[10].

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما

(1) سورة الرحمن : ٦٦ .
(2) سورة الرحمن : ٥٢ .
(3) سورة الرحمن : ٦٨ .
(4) سورة الرحمن : ٥٤ .
(5) سورة الرحمن : ٧٦ .
(6) سورة الرحمن : ٥٨ .
(7) سورة الرحمن : ٧٠ .
(8) سورة الرحمن : ٤٨ .
(9) سورة الرحمن : ٦٤ .
(10) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٤٠ .

وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[1] ، وفي رواية الترمذي : « إن في الجنة جنتين من فضة . . » وذكر الحديث[2] .

وذكر الحق تبارك وتعالى أن الأبرار يشربون كأسا ممزوجة بالكافور ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [3] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ [4] ، ويبدو أن هذا ـ والعلم عند الله ـ لأهل اليمين ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [5] ، فأهل اليمين يشربون شرابا ممزوجا من تسنيم وهي عين في الجنة ، والمقربون يشربون من تسنيم صرفا غير ممزوج .

المطلب الثاني
أعلى أهل الجنة وأدناهم منزلة

روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة أن الرسول ﷺ قال : « سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي رب ؛ وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ،

---

(١) جامع الأصول : (١٠/٤٩٨) ، ورقمه : ٨٠٢٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) سورة الانسان : ٥ .
(٤) سورة الانسان : ١٧ .
(٥) سورة المطففين : ٢٧ .

ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت ، رب . فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك . فيقول : رضيت ربِّ .

قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1] » .

المطلب الثالث
المنزلة العليا في الجنة

أعلى منزلة في الجنة ينالها شخص واحد تسمى الوسيلة ، وسينالها ـ إن شاء الله ـ النبي المصطفى المختار خيرة الله من خلقه نبينا محمد ﷺ ، قال ابن كثير في النهاية : « ذكر أعلى منزلة في الجنة ، وهي الوسيلة ، فيها مقام رسول الله ﷺ » وساق في ذلك حديث جابر بن عبدالله عند البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته : حلت له الشفاعة يوم القيامة » .

وساق حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند مسلم في صحيحه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليَّ فإن من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة ، فإن من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة »[2] .

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : (١٧٦/١) ، ورقمه : ١٨٩ .

وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ قائلين : « وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون هو » رواه أحمد عن أبي هريرة ، وفي المسند عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله ، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة »[1] .

المطلب الرابع
الذين ينزلون الدرجات العاليات

من الذين يحلون الدرجات العاليات في الجنة الشهداء ، وأفضلهم الذين يقاتلون في الصفوف الأولى لا يلتفتون حتى يقتلوا ، ففي مسند أحمد ومعجم الطبراني عن نعيم بن همار[2] بإسناد صحيح عن النبي ﷺ قال : « أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول ، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ، يضحك إليهم ربك ، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »[3] .

والساعي على الأرملة والمسكين له منزلة المجاهد في سبيل الله ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر »[4] .

---

(١) انظر هذه الأحاديث في « النهاية » لابن كثير : (٢/٢٣٣٢) .

(٢) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » : « نعيم بن همّار ، بتشديد الميم ، أو هبار ، أو خمّار ، بالمعجمة أو المهملة ، الغطفاني ، صحابي ، ورجح الأكثر أن اسم أبيه همار .

(٣) مسند أحمد : (٥/٢٨٧) . صحيح الجامع الصغير : (١/٣٦٣) ، ورقمه : ١١١٨ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب الاحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم : (٢/٢٢٨٦) ، ورقم الحديث : ٢٩٨٢ .

ومنزلة كافل اليتيم قريبة من منزلة الرسول ﷺ ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة » وأشار مالك بالسبابة والوسطى[1] .

ويرفع الله درجة الآباء ببركة دعاء الأبناء ، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب ، أنَّى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » . قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[2] .

---

(١) المصدر السابق ، وقوله : (له أو لغيره) أي سواء أكفله من ماله ، أو من اليتيم بولاية شرعية .
(٢) النهاية لابن كثير : (٢/٣٤٠) .

المبحث الرابع

تربة الجنة

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي ذر في حديث المعراج قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل الرسول ﷺ عن تربة الجنة ، فقال : « هي درمكة[1] بيضاء مسك خالص » وفي مسند أحمد عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ في اليهود : « إني سائلهم عن تربة الجنة ، وهي درمكة بيضاء ، فسألهم ، فقالوا : هي خبزة ياأبا القاسم ، فقال رسول الله ﷺ : « الخبز من الدر »[2] وروى أحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة ، قال : قلت : يارسول الله ، مم خلق الخلق ؟ قال : « من ماء » . قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها الدر والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم »[3] .

---

(١) الدرمكة : واحدة الدرمك ، وهو الدقيق الحواري الخالص البياض .

(٢) انظر هذه الأحاديث في النهاية لابن كثير : (٢/٢٤٢) .

(٣) مشكاة المصابيح : (٣/٨٩) ، ورقمه : ٥٦٣٠ ، وقال محقق المشكاة : وله طرق وشواهد ، وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة .

المبحث الخامس

أنهار الجنة

أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار ، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[١]، وأحيانا يقول: تجري من تحتهم الأنهار ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[٢] .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن أنهار الجنة حديثا واضحا بيّنا ، ففي إسرائه صلوات الله وسلامه عليه : « رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها[٣] نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : ياجبريل ، ما هذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات »[٤] .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « رفعت لي السدرة ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان : فنهران في الجنة »[٥] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة »[٦] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٢) سورة الكهف : ٣١ .

(٣) الضمير عائد إلى سدرة المنتهى ، كما دل على ذلك سياق بعض الأحاديث .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء ، (١/١٥٠) ، ورقم الحديث : ١٦٤ .

(٥) جامع الأصول : (١٠/٥٠٧) ، وقال المحقق : رواه البخاري تعليقا في الأشربة ، قال الحافظ في الفتح : وصله أبو عوانة والاسماعيلي والطبراني في « الصغير » من طريقه .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ، (٤/٢١٨٣) ورقم الحديث : =

« ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة ، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض ، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه ، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها ، والتسليم للمخبر عنها »[1] .

وقال القاري : « إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ، لما فيها من العذوبة والهضم ، ولتضمنها البركة الإلهية ، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها »[2] .

ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[3] وقد رآه الرسول ﷺ وحدثنا عنه ، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « بينما أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافتاه قُباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه ـ أو طينه ـ مسك أذفر » شك هُدْبة [4] .

وقد فسر ابن عباس : الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ ، فقال أبو بشر لسعيد بن جبير راوي هذا التفسير عن ابن عباس : إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه [5] . وقد جمع الحافظ ابن كثير الأحاديث التي أخبر الرسول ﷺ فيها عن

= ٢٨٣٩ وعزاه الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١/ ٦) إلى مسلم وأحمد والآجري والخطيب .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٨) .

(٢) نقله عنه الشيخ ناصر في تعليقه على مشكاة المصابيح : (٣/ ٨٠) .

(٣) سورة الكوثر : ١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، فتح الباري : (١١/ ٤٦٤) ، وهدبة أحد رواة الحديث .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، فتح الباري : (١١/ ٤٦٣) .

الكوثر ، فمن هذه الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس ، أن الرسول ﷺ حين أنزلت عليه ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾(1) قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو نهر وعدنيه الله عز وجل ، عليه خير كثير » .

وساق حديث أنس عند أحمد في مسنده عن الرسول ﷺ قال : « أعطيت الكوثر ، فإذا نهر يجري على ظهر الأرض ، حافتاه قباب اللؤلؤ ، ليس مسقوفا ، فضربت بيدي إلى تربته ، فإذا تربته مسك أذفر ، وحصباؤه اللؤلؤ » .

وفي رواية أخرى في المسند عن أنس يرفعه : « هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، ترابه مسك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور » .

وقد ساق الحافظ ابن كثير روايات أخرى كثيرة في الموضوع فارجع إليه إن شئت المزيد (2) .

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب ، بل منها الماء ، ومنها اللبن ، ومنها الخمر ، ومنها العسل المصفى .

قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ (3) .

---

(1) سورة الكوثر : 1

(2) النهاية لابن كثير : (2/246) .

(3) سورة محمد : 15 .

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن حكيم بن معاوية (وهو جدّ بهز بن حكيم) أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة بحر العسل ، وبحر الخمر ، وبحر اللبن ، وبحر الماء ، ثم تنشق الأنهار بعد »[1] .

فأنهار الجنة تنشق من تلك البحار التي ذكرها الرسول ﷺ وأخبرنا الرسول ﷺ عن نهر يسمى بارق يكون على باب الجنة ، ويكون الشهداء في البرزخ عند هذا النهر ، ففي مسند أحمد ، ومعجم الطبراني ، ومستدرك الحاكم عن ابن عباس بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا »[2] .

(١) جامع الأصول : (٥٠٧/١٠) ، وقال المحقق : رواه الترمذي في صفة أنهار الجنة ، ورواه أيضا الدارمي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٢٣٥/٣) ، ورقمه : ٣٦٣٦ .

المبحث السادس

عيـــون الجنـــة

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[1] ، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[2] ، وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[3] . وقال في وصف الجنتين اللتين دونهما ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[4] .

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءهما صرفا غير مخلوط ، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطا ممزوجاً بغيره .

العين الأولى : عين الكافور قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[5] . فقد أخبر أن الأبرار يشربون ـ شرابهم ممزوجا من عين الكافور ، بينما عباد الله يشربونها خالصا .

العين الثانية : عين التسنيم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ

---

(١) سورة الحجر : ٤٥ .
(٢) سورة المرسلات : ٤١ .
(٣) سورة الرحمن : ٥٠ .
(٤) سورة الرحمن : ٦٦ .
(٥) سورة الانسان : ٥ ـ ٦ .

مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] .

ومن عيون الجنة عين تسمى السلسبيل ، قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾[2] ولعل هذه هي العين الأولى نفسها .

(١) سورة المطففين : ٢٢ ـ ٢٨ .

(٢) سورة الانسان : ١٧ ـ ١٨ .

المبحث السابع

قصور الجنة وخيامها

يبني الله لأهل الجنة في الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾[1] . وقد سمى الله في مواضع من كتابه هذه المساكن بالغرفات ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[2] ، وقال في جزاء عباد الرحمن : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[3] ، وقال تعالى واصفا هذه الغرفات : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[4] ، قال ابن كثير : « أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ، ﴿ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾[5] طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . وقد وصف لنا الرسول ﷺ هذه القصور ، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن عَلِيٍّ أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »[6] .

---

(١) سورة التوبة : ٧٢ .

(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : ٢٠ .

(٥) سورة الزمر : ٢٠ .

(٦) صحيح الجامع الصغير : (٢/٢٢٠) ، ورقمه : ٢١١٩ .

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن في الجنة خياما ، قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[1] .

وهذه الخيام خيام عجيبة ، فهي من لؤلؤ ، بل هي من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلا ، وفي بعض الروايات عرضها ستون ميلا ، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : « الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون » ، قال أبو عبدالصمد والحارث عن أبي عمران : « ستون ميلا »[2] .

ورواه مسلم عن عبدالله بن قيس عن النبي ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا » .

وفي رواية عند مسلم : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن »[3] .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات قصور بعض أزواجه وبعض أصحابه ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : « يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب »[4] .

---

(١) سورة الرحمن : ٧٢ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .
(٣) رواه مسلم كتاب الجنة ، باب في صفة خيام الجنة : (٢١٨٢/٤) ؛ ورقمه : ٢٨٣٨ .
(٤) مشكاة المصابيح : (٢٦٦/٣) .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ، ورأيت قصرا بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك » ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يارسول الله : أعليك أغار ؟ »[1].

وقد أخبرنا الرسول بالطريق الذي يحصل به المؤمن على مزيد من البيوت في الجنة ، فالذي يبني لله مسجدا يبني الله له بيتا في الجنة ، ففي مسند أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال : « من بنى لله مسجدا ، ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا في الجنة »[2].

وفي مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ، عن عثمان أن رسول الله ﷺ قال : « من بنى مسجدا ، يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة »[3].

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود ، وسنن النسائي وسنن ابن ماجه عن أم حبيبة أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا ، بنى الله له بيتا في الجنة »[4].

---

(١) مشكاة المصابيح : (٣/٢٢٦) .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (٥/٢٦٥) ، ورقم الحديث : ٦٠٠٥ .
(٣) المصدر السابق ، ورقمه : ٦٠٠٧ .
(٤) صحيح الجامع : (٥/٣١٦) ، ورقمه : ٦٢٣٤ .

المبحث الثامن
نور الجنة

قال القرطبي : « قال العلماء : ليس في الجنة ليل ونهار ، وإنما هم في نور دائم أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج بن الجوزي »[1] .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[2] : « أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات ، لا أن هناك ليلا ونهارا ، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار »[3] .

ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع : « والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش »[4] .

---

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٥٠٤ .
(٢) سورة مريم : ٦٢ - ٦٣.
(٣) تفسير ابن كثير : (٤/٤٧١) .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (٤/٣١٢) .

المبحث التاسع

ريح الجنة

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها ، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات شاسعة ، ففي مسند أحمد وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال : « من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما »[1] .

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو أن الرسول ﷺ قال : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما »[2] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (٥/٣٣٥) ، ورقم الحديث : ٦٣٢٤ .

(٢) صحيح الجامع : (٥/٣٣٧) ، ورقم الحديث : ٦٣٣٣ .

المبحث العاشر

أشجار الجنة وثمارها

المطلب الأول

أشجارها وثمارها كثيرة متنوعة دائمة

أشجار الجنة كثيرة طيبة متنوعة ، وقد أخبرنا الحق أن في الجنة أشجار العنب والنخل والرمان ، كما فيها أشجار السدر والطلح، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾[1] ، ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[2] ، ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[3] ، والسدر هو شجر النبق الشائك ، ولكنه في الجنة مخضود شوكه أي منزوع. والطلح : شجر من شجر الحجاز من نوع العضاه فيه شوك ، ولكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة .

وهذا الذي ذكره القرآن من أشجار الجنان شيء قليل مما تحويه تلك الجنـان ، ولذا قال الحق : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[4] ، ولكثرتها فإن أهلها يَدّعون منها بما يريدون ، ويتخيرون منها ما يشتهون ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[5] ، ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾[6] ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ

---

(١) سورة النبأ : ٣١ - ٣٢ .

(٢) سورة الرحمن : ٦٩ .

(٣) سورة الواقعة : ٢٧ - ٣٢ .

(٤) سورة الرحمن : ٥٣ .

(٥) سورة ص : ٥ .

(٦) سورة الواقعة : ٢٠ .

وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [١] ، وبالجملة فإن في الجنة من أنواع الثمار والنعيم كل ما تشتهيه النفوس وتلذه العيون ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [٢].

وقد قال ابن كثير كلاماً لطيفا دلل فيه على عظيم ثمار الجنة ، إذ استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير ، والهين على العظيم عندما ذكر السدر والطلح ، قال : « وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق ، وشوكه كثير ، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل ، يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها ، حتى أن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعا من الطعوم ، والألوان ، التي يشبه بعضها بعضا ، فما ظنك بثمار الأشجار ، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار ، كالتفاح ، والنخل ، والعنب ، وغير ذلك ؟ وما ظنك بأنواع الرياحين ، والأزاهير ؟ وبالجملة فإن فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله منها من فضله » [٣] .

وأشجار الجنة دائمة العطاء ، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت ، وفصل دون فصل ، بل هي دائمة الإثمار والظلال ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [٤] ، ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [٥] ، أي دائمة مستمرة ، وهي مع دوامها لا يمنع عنها أهل الجنة . ومن لطائف ما يجده أهل الجنة عندما تأتيهم ثمارها أنهم يجدونها تتشابه في

---

(١) سورة المرسلات : ٤١ ـ ٤٢ .
(٢) سورة الزخرف : ٧٢ .
(٣) النهاية لابن كثير : (٢/٢٦٢) .
(٤) سورة الرعد : ٣٥ .
(٥) سورة الواقعة : ٣٣ ـ ٣٤ .

المظهر ، ولكنها تختلف في المخبر ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾[1] .

وأشجار الجنة ذات فروع وأغصان باسقة نامية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[2] ، وهي شديدة الخضرة : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[3] ، ولا توصف الجنة بأنها مدهامة إلا إذا كانت أشجارها مائلة إلى السواد من شدة خضرتها ، واشتباك أشجارها .

أمّا ثمار تلك الأشجار فإنها قريبة دانية مذللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة ، ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[4] ، ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[5] .

أما ظلها فكما قال تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[6] ، ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[7] ، ﴿ إن المتقين في ظلال وعيون ﴾[8] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢) سورة الرحمن : ٤٧ - ٤٩ .
(٣) سورة الرحمن : ٦٣ - ٦٥ .
(٤) سورة الرحمن : ٥٥ .
(٥) سورة الإنسان : ١٤ .
(٦) سورة النساء : ٥٦ .
(٧) سورة الواقعة : ٣٠ .
(٨) سورة المرسلات : ٤١ .

المطلب الثاني
وصف بعض شجر الجنة

حدثنا الرسول ﷺ عن بعض شجر الجنة حديثا عجبا ينبيك عن خلق بديع هائل يسبح الخيال في تقديره والتعرف عليه طويلا ، ونحن نسوق لك بعض ما حدثنا الرسول ﷺ به .

١ ـ الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام :

هذه شجرة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقها ، وقد بين الرسول ﷺ عظم هذه الشجرة بأن أخبر أن الراكب لفرس من الخيل التي تعد للسباق يحتاج إلى مائة عام حتى يقطعها إذا سار بأقصى ما يمكنه ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « إن في الجنة لشجرة[١] يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها »[٢] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[٣] »[٤] .

ورواه مسلم عن أبي هريرة وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها »[٥] .

---

(١) في صحيح مسلم : شجرة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة ، فتح الباري : (٤١٦/١١) ورواه مسلم في كتاب الجنة ؛ باب إن في الجنة شجرة : (٢١٧٦/٢) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٨ .

(٣) سورة الواقعة : ٣٠ .

(٤) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٩/٦) .

(٥) رواه مسلم في كتاب الجنة ، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام (٢١٧٥/٢) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٦ ، ٢٨٢٧ .

٢ ــ سدرة المنتهى :

وهذه الشجرة ذكرها الحق في محكم التنزيل ، وأخبر الحق أن رسولنا محمدا ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها عندها ، وأن هذه الشجرة عند جنة المأوى ، كما أعلمنا أنه قد غشيها ما غشيها مما لا يعلمه إلا الله عندما رآها الرسول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[1] . وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن هذه الشجرة بشيء مما رآه ، « ثم رفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . قال : (أي جبريل) هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، قلت : ما هذان ياجبريل ؟ قال : أمّا الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » . رواه البخاري ومسلم[2] .

وفي الصحيحين أيضا : « ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، ونبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة . فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك »[3] .

٣ ــ شجرة طوبى :

وهذه شجرة عظيمة كبيرة تصنع ثياب أهل الجنة ، ففي مسند أحمد ، وتفسير ابن جرير ، وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النجم : ١٤ ـ ١٧ .
(٢) صحيح الجامع : (١٨/٣) ، ورقمه : ٢٨٦١ ، وعزاه إلى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .
(٣) صحيح الجامع الصغير : (٨٢/٤) ، وعزاه إلى البخاري ومسلم . ورقمه : ٤٠٧٥ .

قال : « طوبى شجرة في الجنة ، مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[1] .

وقد دل على أن ثياب أهل الجنة تشقق عنها ثمار الجنة ـ الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق ، أم نسجا تنسج ؟ فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « ومم تضحكون ، مِنْ جاهل سأل عالما ؟ ثم أكب رسول الله ﷺ ، ثم قال : أين السائل ؟ قال : هو ذا أنا يارسول الله ، قال : « لا ، بل تشقق عنها ثمر الجنة ، ثلاث مرات »[2] .

المطلب الثالث
سيد ريحان الجنة

أخبرنا الله أن في الجنة ريحانا ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[3] ، وأخبرنا الرسول ﷺ أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء ، ففي معجم الطبراني الكبير بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « سيد ريحان الجنة الحناء »[4] .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٦٣٩/٤) ، ورقم الحديث : ١٩٨٥ ، والحديث إسناده حسن .
(٢) المصدر السابق : (٦٤٠/٤) .
(٣) الواقعة : ٨٩ .
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٠٧/٣) ، ورقمه : ١٤٢٠ .

المطلب الرابع
سيقان أشجار الجنة من ذهب

ومن عجيب ما أخبرنا به الرسول ﷺ أن سيقان أشجار الجنة من الذهب ، ففي سنن الترمذي ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقي ، بإسناد صحيح ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »[1] .

المطلب الخامس
كيف يكثر المؤمن حظه من أشجار الجنة ؟

طلب خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من نبينا محمد ﷺ في ليلة الإسراء أن يبلغ أمته السلام وأن يخبرهم بالطريقة التي يستطيعون بها تكثير حظهم من أشجار الجنة ، فقد روى الترمذي بإسناد حسن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يامحمد ، أقرىء أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »[2] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (٥/١٥٠) ، قال ابن كثير في النهاية : (٢/٢٥٤) ، رواه الترمذي : وقال : حسن صحيح .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٥/٣٤) . ورقم الحديث : ٥٠٢٨ .

المبحث الحادي عشر

دواب الجنة وطيورها

في الجنة من الطيور والدواب مالا يعلمه إلا الله تعالى ، قال تعالى فيما يناله أهل الجنة من النعيم ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ ﴾[1] ، وفي سنن الترمذي عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله ـ يعني في الجنة ـ أشدُّ بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر[2] » . قال عمر إن هذه لَنَاعِمة ، قال رسول الله ﷺ : « أَكَلَتُها أنعم منها »[3] .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، والحاكم في مستدركه عن ابن مسعود قال : « جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : يارسول الله ، هذه الناقة في سبيل الله . فقال : « لك بها سبعمائه ناقة مخطومة[4] في الجنة » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، ووافقهما الشيخ ناصر الدين الألباني[5] . ورواه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » رواه مسلم[6] .

---

(١) سورة الواقعة : ٢١ ـ ٢٢ .

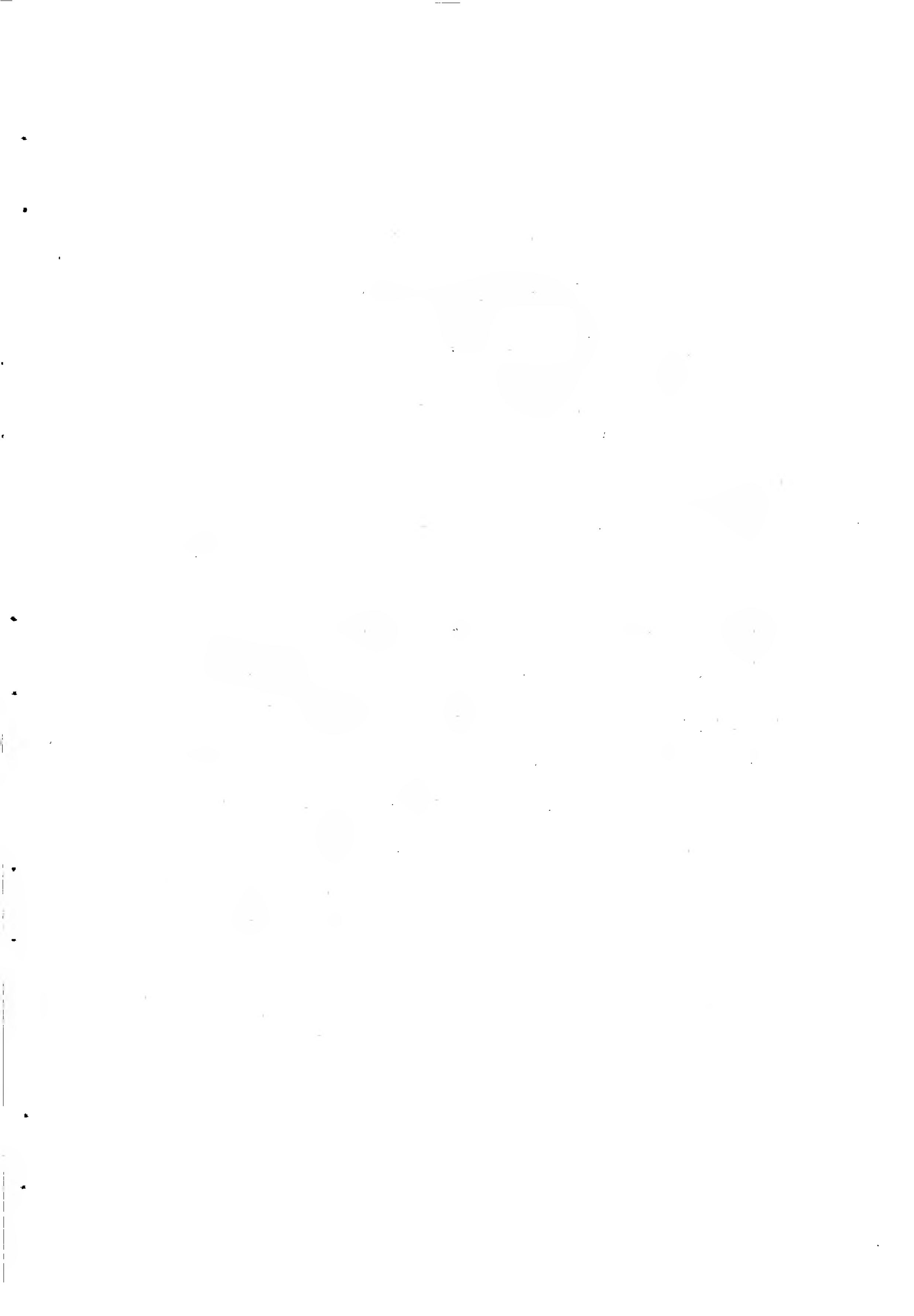
(٢) الجزر : الجمال .

(٣) مشكاة المصابيح : (٢/٩١) ، قال المحقق : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، قلت (الشيخ ناصر) : سنده حسن .

(٤) مخطومة : فيها خطام وهو قريب من الزمام .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢/٢٢٨) ، ورقم الحديث : ٦٣٤ .

(٦) مشكاة المصابيح : (٢/٣٥٠) ، ورقمه : ٣٧٩٩ .



الفصل الرابع

أصحاب الجنة

المبحث الأول

الأعمال التي استحقوا بها الجنة

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون، فكل من أشرك بالله أو كفر به، أو كذب بأصل من أصول الإيمان فإنه يحرم من الجنان، ويكون في النيران .

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات ، وفي بعض الأحيان يفصل الأعمال الصالحة التي يستحق بها صاحبها الجنة .

ومن المواضع التي نص القرآن على استحقاق أهل الجنة الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا

(١) سورة البقرة : ٢٥

أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾(1). وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(2). وقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(3) . وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(4) .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(5).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾(6).وفي بعض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة لتحقيقهم أمراً من أمور الإيمان أو عملاً صالحاً، وقد يُفصل في الأعمال الصالحة، ويُطيل في ذلك .

ففي بعض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة بالإيمان والإسلام ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾(7).

---

(1) سورة النساء : 56
(2) سورة الأعراف : 41
(3) سورة التوبة : 9٠
(4) سورة يونس : 9 ـ 10
(5) سورة الكهف : 30 ـ 31
(6) سورة طه : 75 ـ 76
(7) سورة الزخرف : 68 ـ 70 .

وأحيانا يذكر أنهم استحقوها لأنهم أخلصوا دينهم لله ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1].

وأحياناً يذكر استحقاقهم لها لقوة ارتباطهم بالله ورغبتهم إليه وعبادتهم له ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ومن الأعمال الصبر والتوكل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3].

ومنها الاستقامة على الإيمان : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4]. ومنها الإخبات إلى الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5]. ومن ذلك الخوف من الله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[6]. ومن ذلك بغض الكفرة المشركين، وعدم موادتهم ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ

---

(١) سورة الصافات : ٤٠

(٢) سورة السجدة : ١٥ ـ ١٨

(٣) سورة العنكبوت : ٥٨ ـ ٥٩

(٤) سورة الأحقاف : ١٣

(٥) سورة هود : ٢٣

(٦) سورة الرحمن : ٤٧

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[1] .

وفي بعض الأحيان تفصل الآيات في ذكر الأعمال الصالحة التي يستحق بها أصحابها الجنة تفصيلاً كثيراً، فذكر في سورة الرعد أنهم استحقوها باعتقادهم أن ما أنزل على الرسول ﷺ هو الحق، وبوفائهم بالعهود، وعدم نقضهم الميثاق، ووصلهم ما أمر الله بوصله ، وخشيتهم لله، وخوفهم من سوء الحساب، وصبرهم لله، وإقام الصلاة، والانفاق سراً وعلانية، ودرئهم بالحسنة السيئة ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[2].

وفي مطلع سورة المؤمنين حكم أن الفلاح إنما هو للمؤمنين، ثم بين الأعمال التي تؤهلهم للفلاح، وأعلمنا أن فلاحهم إنما يكون بإدخالهم الفردوس خالدين فيها أبدا . ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة الرعد : ٢١ ـ ٢٦

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(1) .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن ثلاثة أعمال عظيمة يستحق بها أصحابها الجنة، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « . . . وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»(2) .

---

(1) سورة المؤمنون : 1 ـ 11 .

(2) رواه مسلم، انظر شرح النووي على مسلم : (17/198) .

المبحث الثاني

طريق الجنة شاق

الجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير، وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحبوباتها، وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية، وإرادة قوية، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره» ولمسلم حفت بدل حجبت[1].

وفي سنن النسائي والترمذي وأبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفها بالمكاره، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد»[2].

وقد علق النووي في «شرحه على مسلم» على الحديث الأول قائلاً: «هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأمّا المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة،

---

(١) جامع الأصول: (٥٢١/١٠) ورقمه: ٨٠٦٩

(٢) جامع الأصول: (٥٢٠/١٠) ورقمه: ٨٠٦٨، وقال الترمذي فيه: حديث حسن صحيح غريب.

والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان الى المسيء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك»[1].

(١) شرح النووي على مسلم : (١٧/١٦٥)

المبحث الثالث

أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة

جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين : منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، ثم إن من كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار، والذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(١) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : «قال ابن أبي حاتم ـ وساق الإسناد الى أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأمّا المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار» وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك ، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار، لأنهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضاً، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى» وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل

---

(١) سورة المؤمنون : ١٠ ـ ١١

مسلم يهودياً أونصرانياً، فيقال : هذا فكاك من النار» . . .وهذا الحديث كقوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[1]. وقوله : ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] . فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان[3] .

---

(١) سورة مريم : ٦٣

(٢) سورة الزخرف : ٧٢

(٣) تفسير ابن كثير : (١٠/٥)

المبحث الرابع

الضعفاء أكثر أهل الجنة

أكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم، ولكنهم عندالله عظماء، لاخباتهم لربهم، وتذللهم له، وقيامهم بحق العبودية لله، روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره»[1].

قال النووي في شرحه للحديث: «ومعناه يستضعفه الناس، ويحتقرونه، ويتجبرون عليه، لضعف حاله في الدنيا، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء... وليس المراد الاستيعاب»[2].

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «قمت على باب الجنة، فكان عامّة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدّ محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[3].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[4].

---

(١) جامع الأصول: (١٠/٥٣٥)

(٢) النووي على مسلم: (١٧/١٨٧)

(٣) مشكاة المصابيح (٢/٦٦٣)، ورقمه: ٥٢٣٣

(٤) مشكاة المصابيح: (٢/٦٦٣)، ورقمه: ٥٢٣٤

المَبحث الخامس

هَل الرجال أكثر في الجنّة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة ؟ وفي رواية : إمّا تفاخروا، وإمّا تذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فسألوا أبا هريرة، فاحتج أبوهريرة على أنَّ النساء في الجنَّة أكثر بقول الرسول ﷺ «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكب درّى في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب»[1] .

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «رأيتكن أكثر أهل النار». والجواب أنه لا يلزم من كونهنّ أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني[2]، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة، وبذلك يكن أكثر من الرجال وجوداً في الخلق. ويمكن أن يقال : إن حديث أبي هريرة يدل على أن نوع النساء في الجنة أكثر سوءاً كن من نساء الدنيا أو من الحور العين، والسؤال هو : أيهما أكثر في الجنة: رجال أهل الدنيا أم نساؤها ؟ وقد وفّق القرطبي بين النصين بأن النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة ، (٢١٧٩/٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٣٤ .

(٢)(١) فتح الباري : (٣٢٥/٦)

عصاة الموحدين من النار،فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كن أكثر أهل الجنة[1] .

ويدل على قلة النساء في الجنة ما رواه أحمد وأبويعلي عن عمرو بن العاص قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشعب إذ قال : انظروا هل ترون شيئاً ؟ فقلنا : نرى غربانا فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغربان»[2] .

---

(١) راجع التذكرة للقرطبي : ص ٤٧٥

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٦٦/٤)، ورقمه: ١٨٥١، وصحح الشيخ اسناده .

المبحث السادس
الذين توفوا قبل التكليف

المطلب الأول
أطفال المؤمنين

أطفال المؤمنين الذين لم يبلغوا الحلم هم في الجنة إن شاء الله تعالى بفضل الله ورحمته . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[1] . واستدلّ علي بن أبي طالب بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2] . على أن أطفال المؤمنين في الجنة ، لأنهم لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم[3] . وقد عقد البخاري في صحيحه بابا عنون له بقوله : «باب فضل من مات له ولد فاحتسب» . وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «ما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» . وحديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ اجعل لنا يوماً ، فوعظهنَّ ، وقال : أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار. قالت امرأة : واثنان ؟ قال : واثنان»[4].

---

(١) سورة الطور: ٢١

(٢) سورة المدثر: ٣٨

(٣) التذكرة للقرطبي ص: ٥١١ ، وعزاه إلى أبي عمرو في التمهيد والاستذكار وأبي عبدالله الترمذي في نوادر الأصول .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، فتح الباري : (١١٨/٣) .

وعقد باباً آخر عنوانه : باب ما قيل في أولاد المشركين» وساق فيه حديث أنس السابق ، وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة» . وحديث البراء رضي الله عنه قال : «لما توفى إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ : «إن له مرضعاً في الجنة»[1] .

ووجه الدلالة في الأحاديث التي ساقها البخاري على أن أطفال المؤمنين في الجنة ـ كما يقول ـ ابن حجر ـ «أن من يكون سبباً في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو . لأنه أصل الرحمة وسببها »[2] .

وقد جاءت نصوص صريحة في إدخال ذرية المؤمنين الجنة ، فمن ذلك حديث علي مرفوعاً عند عبدالله بن أحمد في زيادات المسند «إن المسلمين وأولادهم في الجنة»[3] .

وحديث أبي هريرة عند أحمد في مسنده مرفوعاً «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة»[4].

وروى مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «صغارهم دعاميص[5] الجنة ، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المسلمين ، فتح الباري : (٣/٢٤٤) وحديث أبي هريرة رواه معلقاً .
(٢) فتح الباري : (٣/٢٤٤) .
(٣) فتح الباري : (٣/٢٤٥)
(٤) فتح الباري : (٣/٢٤٥)
(٥) يراد بالدعموص هنا : الآذن على الملوك المتصرف بين أيديهم .

فيأخذ بثوبه ، أو قال بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى ، أو قال: فلا ينتهي حتى يدخله الله وإياه الجنة»(١).

وروى الإمام أحمد ، وابن حبان ، والحاكم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «ذراري المسلمين في الجنة تكفلهم إبراهيم ﷺ»(٢) .

وروى أبو نعيم في أخبار أصبهان ، والديلمي ، وابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «أطفال المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة ، حتى يدفعوهم إلى آبائهم يوم القيامة»(٣).

وقد نقل النووي إجماع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين في الجنة ، ونَقَلَ عنه أنه توقف بعضهم في ذلك(٤) .

وحكى القرطبي التوقف عن حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وإسحاق بن راهوية(٥) .

قال النووي : «توقف فيه بعضهم لحديث عائشة ، يعني الذي أخرجه مسلم بلفظ : «توفى صبي من الأنصار ، فقلت: طوبى له لم يعمل سوءًا ولم يدركه ، فقال النبي ﷺ : «أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلًا . . » .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١/١٧٤) ، ورقم الحديث : ٤٣٢ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/١٥٦) ، ورقم الحديث: ٦٠٣ ، وذكر المحقق أن الحاكم صحح إسناده ووافقه الذهبي ، إلا أن الشيخ ناصر قال : هو حسن فقط .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٣/٤٥١) ، ورقمه : ١٤٦٧ .

(٤) فتح الباري : (٣/٢٤٤)

(٥) التذكرة للقرطبي : (ص٥١١)

قال : والجواب عنه أنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل ، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة»[1].

أقول: لعل الصواب أن الحديث يشير إلى أنه لا يجوز أن نجزم لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، وإن كنا نشهد لهم مطلقاً بالجنة . والأمر الثاني هو عدم الهجوم على ذلك كي لا يتجرأ الناس على مثل هذا كما هو حاصل في زماننا ، إذ يزعم نعاة الموتى أن ميتهم في الجنة ، وإن كان أفسق الناس .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : « لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة ، وإن شهد لهم مطلقاً »[2] .

المطلب الثاني
أطفال المشركين

بَوّب البخاري في صحيحه باباً بعنوان «باب ما قيل في أولاد المشركين» وأورد فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين ، فقال : الله إذخلقهم أعلم بما كانوا عاملين» .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين» .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : كل مولود يولد

---

(١) فتح الباري : (٣/٢٤٤)
(٢) مجموعة فتاوي شيخ الإسلام : (٤/٢٨١)

على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء»[1] .

والبخاري رحمه الله تعالى ـ كما يقول ابن حجر ـ أشعر بهذه الترجمة أنه كان متوقفاً في أولاد المشركين ، وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الروم من صحيحه بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة ، وقد رتب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار ، فإنه صدره بالحديث الدال على التوقف ، ثم ثنى بالحديث المرجح لكونهم في الجنة ، ثم ثلث بالحديث المصرح بذلك في قوله في سياقه «وأما الصبيان حوله فأولاد الناس» قد أخرجه البخاري في التعبير بلفظ: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة ، فقال بعض المسلمين : وأولاد المشركين ؟ فقال: وأولاد المشركين»[2].

قال ابن حجر : «ويؤيده ما رواه أبويعلي من حديث أنس مرفوعاً» سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم »إسناده حسن ، وَوَرَدَ تفسير «اللاهين» بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعاً أخرجه البزار. وأخرج أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت : «قلت : يا رسول الله ، مَنْ في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة» . وإسناده حسن[3] .

واحتجوا أيضاً بقوله ﷺ : « أطفال المشركين خدم أهل الجنة» رواه ابن منده في المعرفة ، وأبو نعيم في الحلية ، وأبويعلي في مسنده ، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالصحة بمجموع طرقه[4] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، فتح الباري : (٣/٢٤٦)
(٢) فتح الباري : (٣/٢٤٦)
(٣) فتح الباري : (٣/٢٤٦)
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/٤٥٢) ، ورقمه : ١٤٦٨

والقول بأنهم في الجنة هو قول جمع من أهل العلم ، وهو اختيار أبي الفرج بن الجوزي[1] ، وقال النووي في هذا المذهب : «وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2] ، واحتج بالأدلة التي ساقها البخاري وغيره[3] .

أقول : وهذا القول هو الذي رجحه القرطبي أيضاً، وقد وفق القرطبي بين النصوص التي يظهر منها التعارض في هذا الموضوع بأن الرسول ﷺ قال في أول الأمر هم مع آبائهم أي في النار ، ثم حصل منه توقف في ذلك ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم أوحى إليه أنه لايعذب أحد بذنب غيره ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[4] فحكم بأنهم في الجنة[5] ، وذكر في ذلك حديثاً رواه عبدالرزاق ، ولكن الحديث ضعيف كما قال ابن حجر العسقلاني[6] .

ويشكل على هذا التوفيق الذي ذكره ابن حجر أن المسألة ليست من مسائل النظر والاجتهاد ، ولكنها مسألة غيبية لا يتكلم فيها إلا بوحي ، والله أعلم .

وقد يشكل على القول بأن أولاد المؤمنين والمشركين في الجنة ما ورد من نصوص دالة على أن الله علم أهل الجنة والنار أزلا ، وأن الملك عندما يزور الرحم يكتب رزق الجنين وأجله وشقاءه وسعادته ، وقد يقال في الجواب : إن من مات صغيراً قبل الاكتساب فإنه يكون مكتوباً من السعداء وهو في بطن أمة ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٧٢/٢٤) ، (٣٠٣/٤)
(٢) سورة الإسراء : ١٥
(٣) فتح الباري : (٢٤٧/٣)
(٤) سورة الإسراء : ١٥
(٥) التذكرة للقرطبي : ص ٥١٥
(٦) فتح الباري : (٢٤٧/٣)

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنهم في مشيئة الله تعالـى ، وهذا منقول عن حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق ، ونقله البيهقي في «الاعتقاد» عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة ، قال ابن عبدالبر : وهو مقتضى صنيع مالك ، وليس عنده في هذا شيء منصوص ، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة ، والحجة فيه حديث :«الله أعلم بما كانوا عاملين»[1] .

وهذا القول حكاه أبوالحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة[2] ، وهو اختيار شيخ الإسلام ، فقد اختار أن أطفال المشركين في مشيئة الله ، وانهم يمتحنون في يوم القيامة ، وعزا القول بذلك إلى أبي الحسن الأشعري والإمام أحمد ، قال شيخ الإسلام : «والصواب أن يقال فيهم : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ولا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار ، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة يمتحنـون فـي عرصات القيامة يؤمرون وينهون ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة[3] .

وقال في موضع آخر : «أطفال المشركين الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة ، كما وردت بذلك أحاديث متعددة ، وهو القول الذي حكاه أبوالحسن الأشعري في أطفال المشركين ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين»[4] .

---

(١) فتح الباري : (٣/٢٤٦)

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٤/٢٨١ ـ ٤٠٤) ، (٢٤/٣٧٢)

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٢٤/٣٧٢) ، ٤/٣٠٣

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٤/٢٨١)

وقد ذكر ابن حجر أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن أبى عذب ، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد ، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل ، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ، ومن في الفترة من طرق صحيحة ، وحكى البيهقي في «كتاب الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح[1] .

ويدل لصحة هذا القول ما ورد في محكم القرآن في قصة العبدالصالح الذي رَحَلَ نبيُّ الله موسى إلى لقائه في مجمع البحرين ، فإنه قال مبيناً السر في قتله الغلام : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾[2] ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر « طبع يوم طبع كافراً ، ولو ترك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » قال ابن تيمية معقباً على الحديث : «يعني طبعه الله في أم الكتاب ، أي أثبته وكتبه كافراً ، أي انه إن عاش كفر بالفعل» .

وقد ضعف القرطبي هذا المذهب محتجاً بأن الآخرة دار جزاء لا ابتلاء ، ففي « التذكرة » قال المؤلف (يعني نفسه) : « ويضعفه (القول بامتحانهم في عرصات القيامة) من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف ، وإنما هي دار جزاء : ثواب وعقاب ، وقال الحليمي : وهذا الحديث ليس بثابت ، وهو مخالف لأصول المسلمين ، لأن الآخرة ليست بدار امتحان ، فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ، ولا محنة مع الضرورة »[3] .

وهذا الذي اعترض به من أن التكليف ينقطع بالموت غير صحيح ، وقد رد

---

(١) فتح الباري : (٢٤٦/٣)
(٢) سورة الكهف : ٨٠
(٣) التذكرة : ص ٥١٤

على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : «التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار ، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ ، فيقال لأحدهم : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[1] ، وقد ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال : «يتجلى الله لعباده في الموقف ، إذا قيل ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيتبع المشركون آلهتهم ، ويبقى المؤمنون ، فيتجلى لهم الرب الحق في غير الصورة التي كانوا يعرفون ، فينكرونه ، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون ، فيسجد له المؤمنون ، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر ، فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون ، وذلك قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[2][3].

فالمحنة لا تتوقف إلا بدخول الجنة والنار ، وما ذكره القرطبي من أن المعرفة بالله في ذلك اليوم ضرورية صحيح ، إلا أن المحنة تكون بالأمر والنهي كما ورد في بعض النصوص أن الله يكلفهم في ذلك اليوم بالدخول في النار ، فالذي يطيع يكون من أهل السعادة ، والذي يعصي يكون من أهل الشقاء .

---

(١) سورة القلم : ٤٢

(٢) سورة القلم : ٤٢

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٧٢/٢٤) ، وانظر : (٣٠٩/١٧)

المَبحَث السَابع

مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة

يدخل من هذه الأمة الجنة جموع كثيرة الله أعلم بعددهم ، ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : حدثني ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ : «عرضت عليَّ الأمم ، فأخذ النبيُّ يمرُّ معه الأمّة ، والنبيُّ يمرُّ معه النفر ، والنبيُّ يمرُّ معه العشرة ، والنبي يمرُّ معه الخمسة ، والنبيُّ يمرُّ وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب»[1] .

والسواد الأول الذي ظنه الرسول ﷺ أمته هم بنو إسرائيل ، كما في بعض الروايات في الصحيح« فرجوت أن تكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه»[2] .

ولا شك أن أمة محمد ﷺ أكثر من بني إسرائيل ، ففي الحديث «فإذا سواد كثير» قال ابن حجر «في رواية سعيد بن منصور «عظيم» وزاد «فقيل لي : انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي أنظر إلى الأفق الآخر مثله »، وفي رواية ابن فضيل : «فإذا سواد قد ملأ الأفق ، فقيل لي : انظرها هنا ، وها هنا في آفاق السماء » وفي حديث ابن مسعود : « فإذا الأفق قد سدّ بوجوه الرجال » ،

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً ، فتح الباري : (١١/٤٠٦)

(٢) فتح الباري : (١١/٤٠٧)

وفي لفظ لأحمد : « فرأيت أمتي قد ملؤوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهيأتهم» ، فقيل : أرضيت يا محمد ؟ قلت : نعم يا رب »[1] .

وقد ورد في بعض الأحاديث أن مع كل ألف من السبعين ألفاً سبعين ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات الله ، ففي مسند أحمد ، وسنن الترمذي وابن ماجه عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً ،وثلاث حثيات من حثيات ربي »[2] ، ولا شك أن الثلاث حثيات تدخل الجنة خلقاً كثيراً .

وقد كان رسولنا ﷺ يرجو أن تكون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري عن الرسول ﷺ في ذكر بعث النار ، قال صلوات الله وسلامه عليه في آخره : « والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا . فقال : « أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » ، فكبرنا . فقال : «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبرنا . قال : « ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود »[3] .

بل ورد في بعض الأحاديث أن هذه الأمة تبلغ ثلثي أهل الجنة ، ففي سنن الترمذي بإسناد حسن ، وسنن الدارمي ، و«البعث والنشور» للبيهقي عن بريدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم»[4] .

---

(١) فتح الباري : (٤٠٨/١١)

(٢) مشكاة المصابيح : (٦٤/٣) ، ورقمه : ٥٥٥٦ ، وقد حسنه الترمذي وصحح الشيخ ناصر إسناده .

(٣) مشكاة المصابيح : (٥٨/٣) ، ورقم الحديث : ٥٥٤١

(٤) مشكاة المصابيح : (٩٢/٣) ، ورقم الحديث : ٥٦٤٤

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أول شفيع في الجنة لم يصدّق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيًا ما صدقه من أمته إلا رجل واحد»[1] .

والسر في كثرة من آمن من هذه الأمة أن معجزة الرسول ﷺ الكبرى كانت وحياً متلواً يخاطب العقول والقلوب ، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« ما من الأنبياء من نبيّ إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليَّ ، وأرجـو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[2] .

---

(١) مشكاة المصابيح : (١٢٤/٣) ، ورقم الحديث : ٥٧٤٤

(٢) مشكاة المصابيح : (١٢٤/٣) ، ورقم الحديث : ٥٧٤٦ .

المَبحث الثامن
سادة أهل الجنة

المطلب الأول
سيدا كهول أهل الجنة

روى جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، وأبو جحيفة ، وجابر بن عبدالله ، وأبو سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال : « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين » .

وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني طرقه في كتب السنة ، وقال في خاتمة تخريجه للحديث : « وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب ، لأن بعض طرقه حسن لذاته ، وبعضه يستشهد به . . »[١] .

المطلب الثاني
سيدا شباب أهل الجنة

أخبرنا الرسول ﷺ أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثبت ذلك من طرق كثيرة تبلغ درجة التواتر ، وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرق الحديث في كتابه القيم « سلسلة الأحاديث الصحيحة » .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٨٧/١٢) ، ورقمه : ٨٢٤ .

فقد رواه الترمذي والحاكم والطبراني وأحمد وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

ورواه الترمذي وابن حبان وأحمد والطبراني وغيرهم عن حذيفة رضي الله عنه قال أتيت النبي ﷺ ، فصليت معه المغرب ، ثم قام يصلي حتى العشاء ، ثم خرج ، فأتبعته ، فقال : « عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرني في أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

وأخرجه الحاكم وابن عساكر عن عبدالله بن عمر أن الرسول ﷺ قال: « ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة »[1] .

المطلب الثالث
سيدات نساء أهل الجنة

السيد الحق هو الذي يثني عليه ربه ويشهد له ، والسيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها ، ويتقبلها بقبول حسن ، وأفضل النساء هن اللواتي يَحُزْن جنات النعيم ، ونساء أهل الجنة يتفاضلن ، وسيدات نساء أهل الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية ، ففي مسند أحمد ، ومشكل الآثار للطحاوي ، ومستدرك الحاكم ، بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة أخطط ، ثم قال : « تدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »[2] .

---

(١) وإن أحببت أن تقف على رواته ، ومخرجيه من كتب السنة ، فارجع إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢/٤٣٨) ، ورقم الحديث : ٧٩٧ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤/١٣) ، ورقم الحديث : ١٥٠٨ .

ومريم وخديجة أفضل الأربع ، ففي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال : « خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة »[١] .

ومريم هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق ، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران : فاطمة ، وخديجة ، وآسية امرأة فرعون »[٢] . وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ، وكيف لا تكون كذلك وقد صرح الحق بأنه تقبلها ﴿ بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[٤] .

وهؤلاء الأربع نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات ، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[٥] .

وخديجة الصديقة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد ، وثبتته ، وآسته بنفسها ومالها ، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى جبريل النبي ﷺفقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ، فتح الباري : (١٣٣/٧) .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤١٠/٣) ، ورقم الحديث : ١٤٢٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٤٢ .

(٤) سورة آل عمران : ٣٧ .

(٥) سورة التحريم : ١٢ .

طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب »[1].

وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها ، فكفرت بفرعون وألوهيته ، فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة ، وتربية معلم البشرية .

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها،فتح الباري : ١٣٣/٧ والحديث مروى في هذا الباب من طرق أخرى عن عائشة وعبدالله بن أبي أوفى .

(٢) سورة التحريم : ١١ .

المَبحث التَاسِع
العَشَرة المبشرون بالجنّة

نصَّ الرسول ﷺ نصا صريحا على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة ، ففي مسند أحمد عن سعيد بن زيد ، وسنن الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » وإسناده صحيح[١] .

وروى الحديث الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء في المختارة عن سعيد بن زيد بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه ، ولفظه : « عشرة في الجنة : النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة » وإسناده صحيح[٢] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (١/٧٠) ، ورقمه : ٥٠ .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (٤/٣٤) ، ورقمه : ٣٩٠٥ .

وتذكر لنا كتب السنة أن الرسول ﷺ كان يوما جالسا على بئر أريس وأبو موسى الأشعري بواب له ، فجاء أبو بكر الصديق فاستأذن ، فقال له الرسول ﷺ : « ائذن له وبشره بالجنة » ، ثم جاء عمر فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » ثم جاء عثمان ، فقال : « إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه »[1] .

وروى ابن عساكر بإسناد صحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « القائم بعدي في الجنة ، والذي يقوم بعده في الجنة ، والثالث والرابع في الجنة »[2] . ومراده بالقائم بعده : الذي يلي الحكم بعد موته ، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ رضي الله عنهم جميعا .

وروى الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال لأبي بكر : « أنت عتيق من النار »[3] .

المبحث العاشر
بعض من نص على أنهم في الجنة غير ذكر

١ - ٢ ـ جعفر بن أبي طالب ، وحمزة بن عبدالمطلب :

من الذين أخبر الرسول ﷺ أنهم في الجنة جعفر وحمزة ، ففي سنن

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي ، جامع الأصول : (٥٦٢/٨) ، ورقمه : ٦٣٧٢ . والحديث طويل ، وقد اقتصرنا منه على موضع الشاهد فحسب .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (١٤٩/٤) ، ورقمه : ٤٣١١ .
(٣) صحيح الجامع الصغير : (٢٤/٢) ، ورقمه : ١٤٩٤ .
(٤) قال الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٦/٣) ، حديث رقم ١٢٢٦ : « حديث صحيح جاء من طرق عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي عامر والبراء » وقد ساق طرقه

الترمذي ، ومسند أبي يعلى ، ومستدرك الحاكم وغيرهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة بجناحين »[٤] .

وروى الطبراني ، وابن عدي ، والحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة البارحة ، فنظرت فيها ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكىء على سرير » . وإسناده صحيح[١] .

وقد صح أن الرسول ﷺ قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب »[٢] .

٣ ـ عبدالله بن سلام :

روى أحمد والطبراني والحاكم بإسناد صحيح عن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ « عبدالله بن سلام عاشر عشرة في الجنة »[٣] .

٤ ـ زيد بن حارثة :

روى الروياني والضياء عن بريده أن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فاستقبلتني جارية شابّة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة »[٤] .

٥ ـ زيد بن عمرو بن نفيل :

روى ابن عساكر بإسناد حسن عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة ، فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين »[٥] .

---

(١) صحيح الجامع : (١٤٠/٣) ، ورقمه : ٣٣٥٨ .
(٢) صحيح الجامع : (٢١٩/٣) ، ورقمه : ٣٥٦٩ .
(٣) صحيح الجامع الصغير : (٢٥/٤) ، ورقمه : ٣٨٧٠ .
(٤) صحيح الجامع الصغير : (١٤١/٣) ، ورقمه : ٣٣٦١ .
(٥) صحيح الجامع الصغير : (١٤١/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٢ .

وزيد هذا كان يدعو إلى التوحيد في الجاهلية ، وكان على الحنيفية ملة إبراهيم .

٦ ـ حارثة بن النعمان :

وروى الترمذي والحاكم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فسمعت فيها قراءة ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان ، كذلكم البر ، كذلكم البر »(١) .

٧ ـ بلال ابن أبي رباح :

روى الطبراني وابن عدي بإسناد صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فسمعت خَشْفة بين يدي ، قلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : هذا بلال يمشي أمامك »(٢) .

وفي المسند بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ليلة أسري بي ، فسمعت من جانبها وجسا ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : بلال المؤذن »(٣) .

٨ ـ أبو الدحداح :

روى مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد عن جابر بن سمرة أن

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٤٢/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٦ .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (١٤٢/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٤ .
(٣) صحيح الجامع الصغير : (١٤٣/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٧ .

رسول الله ﷺ قال : « كم من عذق معلّق لابن الدحداح في الجنة »[1] .

وأبو الدحداح هذا هو الذي تصدق ببستانه : بيرحاء ، أفضل بساتين المدينة عندما سمع الله يقول : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ ﴾[2] .

٩ ــ ورقة بن نوفل :

روى الحاكم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا ورقة بن نوفل ، فإني قد رأيت له جنة أو جنتين »[3] .

وورقة آمن بالرسول ﷺ عندما جاءته خديجة بالرسول ﷺ في أول أمره ، وتمنى على الله أن يدرك ظهور أمر الرسول ﷺ لينصره .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (٤/١٨٥) ، ورقمه : ٤٤٥٠ .
(٢) سورة البقرة : ٢٤٥ .
(٣) صحيح الجامع الصغير : (٦/١٥٣) ، ورقمه : ٧١٩٧ .

المبحث الحادي عشر

الجنة ليست ثمناً للعمل

الجنة شيء عظيم ، لا يمكن أن يناله المرء بأعماله التي عملها ، وإنما تنال برحمة الله وفضله ، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة » قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة »(1) .

وقد يشكل على هذا النصوص التي تشعر بأن الجنة ثمن للعمل ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(2) ، وقوله : ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(3) .

ولا تعارض بين الآيات وما دلَّ عليه الحديث ، فإن الآيات تدل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة ، وليست ثمنا لها . والحديث نفى أن تكون الأعمال ثمنا للجنة . وقد ضل في هذا فرقتان : الجبرية التي استدلت بالحديث على أن الجزاء غير مرتب على الأعمال ، لأنه لا صنع للعبد في عمله ، والقدرية استدلوا بالآيات ، وقالوا إنها تدل على أن الجنة ثمن للعمل ، وأن العبد مستحق دخول الجنة على ربه بعمله .

---

(1) صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٠) . ورقم الحديث : ٢٨١٦ .
(2) سورة السجدة : ١٧ .
(3) سورة الأعراف : ٤٢ .

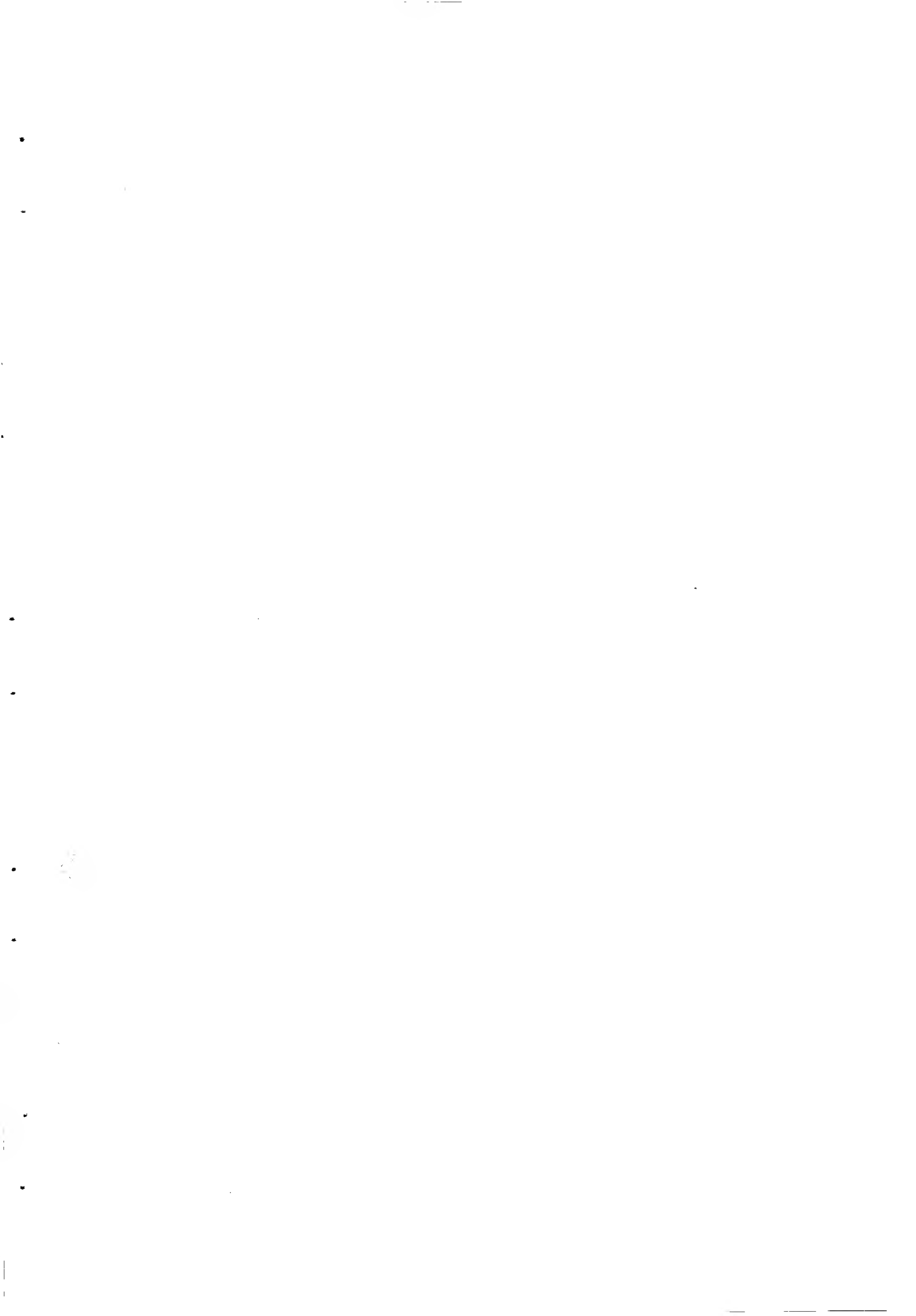
يقول شارح الطحاوية في هذه المسألة .

« وأما ترتب الجزاء على الأعمال ، فقد ضل فيه الجبرية والقدرية ، وهدى الله أهل السنة ، وله الحمد والمنة ، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات . فالمنفى في قوله ﷺ : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » ـ باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة ، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله ، بل ذلك برحمة الله وفضله . والباء التي في قوله : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] وغيرها باء السبب ، أي بسبب عملكم ، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته »[2] .

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) شرح الطحاوية : ٤٩٥ .



الفصل الخامس

صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها

يدخل أهل الجنة الجنة على أكمل صورة وأجملها ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ، فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التي خلق الله عليها أبا البشر آدم ، فقد خلقه الله تعالى بيده فأتم خلقه ، وأحسن تصويره ، وكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وخلقته ، وقد خلقه الله طوالا كالنخلة السحوق ، طوله في السماء ستون ذراعا ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدم على صورته ، طوله ستون ذراعا . . . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، وطوله ستون ذراعا ، فلم يزال الخلق ينقص بعده »[١] .

وإذا كان خلقهم الظاهري متفق فكذلك خلقهم في باطنهم واحد، نفوسهم صافية ، وأرواحهم طاهرة زاكية ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة في الحديث الذي يصف فيه الرسول ﷺ دخول أهل الجنة ومنهم الزمرة الذين يدخلون الجنة

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، (٢١٨٣/٤) ، ورقمه : ٢٨٤١ .

نورهم كالبدر قال : « أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء »[1] .

ومن جمال صورتهم أنهم يكونون جردا مردا كأنهم مكحلون ، وكلهم يدخل الجنة في عمر القوة والفتوة والشباب أبناء ثلاث وثلاثين ، ففي مسند أحمد وسنن الترمذي عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة جردا مردا ، كأنهم مكحلون ، أبناء ثلاث وثلاثين »[2] .

وأهل الجنة ـ كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ـ « لا يبصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون »[3] .

وأهل الجنة لا ينامـون ، فقد جاء في حديث جابر بن عبدالله ، وعبدالله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال : « النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة »[4] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب أول زمرة يدخلون الجنة : (٢١٧٩/٤) ، رقم الحديث ٢٨٣٤ .

(٢) صحيح الجامع : (٣٣٧/٦) ، ورقمه : ٧٩٢٨ ، وقال الشيخ ناصر فيه : صحيح .

(٣) هذا جزء من حديث طويل سقناه بكامله في « دخول الجنة » .

(٤) أورد الشيخ ناصر الدين الألباني هذا الحديث في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » : (٧٤/٣) ورقمه : ١٠٨٧ ، وقد ذكر هناك أنه أخرجه كثير من كتب الحديث منها الكامل لابن عدي ، والحلية لأبي نعيم ، تاريخ أصبهان لأبي الشيخ ، وقد جمع الشيخ ناصر طرق الحديث ، وختم الكلام على الحديث قائلا : « وبالجملة فالحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر » .

الفصل السادس

نعيم أهل الجنة

المبحث الأول

فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا

متاع الدنيا واقع مشهود ، ونعيم الجنة غيب موعود ، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون ، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي ، فكيف إذا كان الموعود ينال غب الموت ؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة ، وبيّن أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل ، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة ، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها .

وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة ، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[2] .

---

(١) سورة ال عمران : ١٩٨ .

(٢) سورة طه : ١٣١ .

وقال في موضع ثالث : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(١) .

ولو ذهبنا نبحث في سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا لوجدناه من وجوه متعددة :

أولا : متاع الدنيا قليل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾(٢) .

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه ـ وأشار بالسبابة ـ في اليم ـ فلينظر بم ترجع »(٣) . ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في البحر الخضم ، إنها لا تأخذ منه قطرة . هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة .

ولما كان متاع الدنيا قليلا ، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ ـ ١٥ .
(٢) سورة النساء : ٧٧ .
(٣) صحيح مسلم : (٢١٩٣/٤) . ورقم الحديث : ٢٨٥٨ .
(٤) سورة التوبة : ٣٨ .

وقد ذكرنا في كتابنا هذا النصوص الدالة على كثرة نعيم الدنيا وعدم نفاذه وانقطاعه .

الثاني : هو أفضل من حيث النوع ، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم ـ أفضل مما في الدنيا ، بل لا وجه للمقارنة ، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها »[1] وفي الحديث الآخر الذي يرويه البخاري ومسلم أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس »[2] . وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل مافي الجنة على مافي الدنيا ، ففي صحيح البخاري عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها »[3] .

وإذا شئت أن تطلع على المزيد من النصوص المبينة لفضل نعيم الجنة على متاع الدنيا فاقرأ الفصل المخصص لنعيم الجنة في كتابنا هذا .

الثالث : الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها ، فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول ، والروائح الكريهة ، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله ، ونساء الدنيا يحضن ويلدن ، والمحيض أذى ، والجنة خالية من ذلك كله ، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ولا يتفلون ، وخمر الجنة كما

---

(١) مشكاة المصابيح : (٣/٨٥) . ورقم الحديث : ٥٦١٣ .
(٢) مشكاة المصابيح : (٣/٨٥) . ورقم الحديث : ٥٦١٥ . والقدر : الموضع والمقدار .
(٣) مشكاة المصابيح : (٣/٨٥) . ورقم الحديث : ٥٦١٤ . والنصيف : الخمار .

وصفها خالقها ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[1]
وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾[2] ، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[3] .

وقلوب أهل الجنة صافية ، وأقوالهم طيبة ، وأعمالهم صالحة ، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر ، وتعكر المزاج ، وتستثير الأعصاب ، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال ، ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾[4] ، ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾[5] ، ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ﴾[6] ، ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴾[7] ، إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار ، إنها دار السلام والتسليم ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾[8] .

ولذلك فإن أهل الجنة إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، ثم يهذبون وينقون بأن يقتص لبعضهم من بعض ، فيدخلون الجنة وقد صفت منهم القلوب ، وزال ما في نفوسهم من تباغض وحسد ونحو ذلك مما كان في

---

(١) سورة الصافات : ٤٦ .
(٢) سورة محمد : ١٥ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥ .
(٤) سورة الطور : ٢٣ .
(٥) سورة النبأ : ٣٥ .
(٦) سورة مريم : ٦٢ .
(٧) سورة الغاشية : ١١ .
(٨) سورة الواقعة : ٢٥ .

الدنيا، وفي الصحيحين في صفة أهل الجنة عند دخول الجنة « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا »[1] . وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[2] .

والغل : الحقد ، وقد نقل عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب أن أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يشربون من عين فيذهب الله مافي قلوبهم من غل ، ويشربون من عين أخرى فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم[3] ولعلهم استفادوا هذا من قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[4] .

الرابع : نعيم الدنيا زائل ، ونعيم الآخرة باق دائم ، ولذلك سمّي الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعا ، لأنه يتمتع به ثمَّ يزول ، أمّا نعيم الآخرة فهو باق ، ليس له نفاد ، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[5] ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[6] ، ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾[7] ، وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[8] . فقد ضرب الله مثلا لسرعة زوال الدنيا وانقضائها

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .

(٢) سورة الحجر : ٤٧ .

(٣) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٩٩ .

(٤) سورة الإنسان : ٢١ .

(٥) سورة النحل : ٩٦ .

(٦) سورة ص : ٥٤ .

(٧) سورة الرعد : ١٣ .

(٨) سورة الكهف : ٤٥ ـ ٤٦ .

بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر ، وماهي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته ، فيذوى ويصفر ، ثم تعصف به الرياح في كل مكان ، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع . . . كلها تتلاشى وتنقضي ، فالشباب يذوى ويذهب ، والصحة والعافية تبدل هرما ومرضا ، والأموال والأولادقد يذهبون ، وقد ينتزع الإنسان من أهله وماله ، أمّا الآخرة فلا رحيل ، ولا فناء ، ولا زوال ﴿ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1].

الخامس : العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2] .

---

(١) سورة النحل : ٣٠ ـ ٣١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

المبحث الثاني
طعام أهل الجنة وشرابهم

سبق أن تحدثنا عن أشجار الجنة وثمارها ، وقطوفها الدانية المذللة تذليلا ، واختيار أهل الجنة من ثمارها ما يريدون ويشتهون ، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس من المآكل والمشارب ، ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾[1] ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ۝٧١ ﴾[2] ، وقد أباح الله لهم أن يتناولوا من خيراتها وألوان طعامها وشرابها ما يشتهون ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾[3] .

وذكرنا أيضا فيما سبق أن في الجنة بحر الماء ، وبحر الخمر ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وأنّ أنهار الجنة تنشق من هذه البحار . وفي الجنة عيون كثيرة ، وأهل الجنة يشربون من تلك البحار والأنهار والعيون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ ﴾[4] .

وقال : ﴿ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴾[5] . وقال : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾[6]

---

(١) سورة الواقعة : ٢٠ .
(٢) سورة الزخرف : ٧١ .
(٣) سورة الحاقة : ٢٤ .
(٤) سورة الإنسان : ٥ .
(٥) سورة الإنسان : ١٧ .
(٦) سورة المطففين : ٢٦ .

المطلب الأول
خمر أهل الجنة

من الشراب الذي يتفضل الله به على أهل الجنة الخمر ، وخمر الجنة خالي من العيوب والآفات التي تتصف بها خمر الدنيا ، فخمر الدنيا تذهب العقول ، وتصدع الرؤوس ، وتوجع البطون ، وتمرض الأبدان ، وتجلب الأسقام وقد تكون معيبة في صنعها أو لونها أو غير ذلك ، أمّا خمر الجنة فإنها خالية من ذلك كله ، جميلة صافية رائقة ، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[1] . فقد وصف الله جمال لونها (بيضاء) ثم بين أنها تلذ شاربها من غير اغتيال لعقله ، كما قال : ﴿ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾[2] ، ثم إن شاربها لا يمل من شربها ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[3] ، وقال في موضع آخر يصف خمر الجنة : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[4] قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : « لا تصدع رؤوسهم ، ولا تنزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال »[5]

وقال الحق في موضع ثالث : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَـٰمُهُ

---

(١) سورة الصافات : ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) سورة محمد : ١٨ .
(٣) سورة الصافات : ٤٧ .
(٤) سورة الواقعة : ١٧ ـ ١٩ .
(٥) تفسير ابن كثير : ٥١٤/٦ .

مِسْكٌ﴾[1] ، والرحيق الخمر ، ووصف هذا الخمر بوصفين : الأول أنه مختوم أي موضوع عليه خاتم .الأمر الثاني : أنهم إذا شربـوه وجدوا في ختام شربهم له رائحة المسك .

المطلب الثاني
أول طعام أهل الجنة

أول طعام يتحف الله به أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفّؤها الجبار بيده ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : « بلى » . قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : « ألا أخبرك بإدامهم ؟ بالام والنون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا »[2]

قال النووي في شرح الحديث ما ملخصه : « النُزل : ما يعد للضيف عند نزوله ، ويتكفأها بيده : أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي ، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها ، ومعنى الحديث : أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم ، ويكون طعاما ونزلا لأهل الجنة ، والنون : الثور ، (والـ بالام) : لفظة عبرانية ، معناها : ثور ، وزائدة كبد الحوت : هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها »[3] .

---

(١) سورة المطففين : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) مشكاة المصابيح : (٣/٥٦) .
(٣) شرح النووي على مسلم : (١٧/١٣٦) .

وفي صحيح البخاري أن عبدالله بن سلام سأل النبي ﷺ أول قدومه المدينة أسئِلَةً منها : « ما أول شيء يأكله أهل الجنة ؟ فقال : زيادة كبد الحوت »[1] .

وفي صحيح مسلم عن ثوبان أن يهوديا سأل الرسول ﷺ قال : « فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ » قال : زيادة كبد الحوت » .

قال : « فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال :ينحرلهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها » .

قال : « فما شرابهم عليه ؟ » قال : « من عين تسمى سلسبيلا»، قال : صدقت[2] .

المطلب الثالث
طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه

قد يتبادر إلى الذهن أن الطعام والشراب في الجنة ينتج عنه ما ينتج عن طعام أهل الدنيا وشرابهم من البول والغائط والمخاط والبزاق ونحو ذلك ، والأمر ليس كذلك فالجنة دار خالصة من الأذى ، وأهلها مطهرون من أوشاب أهل الدنيا ، ففي الحديث الذي يرويه صاحبا الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال نافيا هذا الظن : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يبزقون »[3] .

---

(١) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢٧٠) .

(٢) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢٧٠) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٦/ ٣١٧) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة ، (٤/ ٢١٧٨) ، حديث رقم : ٢٨٣٤ .

وليس هذا خاص بأول زمرة تدخل الجنة ، وإنما هوعام في كل من يدخل الجنة، ففي روايةعند مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدّ نجم في السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل ، لا يتغوطون ، ولا يتبولون ، ولا يمتخطون ، ولا يبزقون »[1] .

فالذي يتفاوت فيه أهل الجنة ممانص عليه في الحديث قوة نور كل منهم ، أمّا خلوصهم من الأذى فإنهم يشتركون فيه جميعا ، فهم لا يتغوطون ولا يتبولون ، ولا يتفلون ، ولا يبزقون ، ولا يمتخطون .

وقد يقال : فأين تذهب فضلات الطعام والشراب ، وقد وجه هذا السؤال إلى الرسول ﷺ من قبل أصحابه ، فأفاد أن بقايا الطعام والشراب تتحول إلى رشح كرشح المسك يفيض من أجسادهم ، كما يتحول بعض منه أيضا إلى جشاء ، ولكنه جشاء تنبعث منه روائح طيبة عبقة عطرة ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يتبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون » ، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء كجشاء المسك »[2] .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة ، (٤/٢١٨٨) ، ورقم الحديث : ٢٨٣٤ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه : (٤/٢١٨٠) . ورقم الحديث : ٢٨٣٥ .

المطلب الرابع
لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون

إذا كان أهل الجنة فيها خالدون ، وكانت خالية من الآلام والأوجاع والأمراض ، لا جوع فيها ولا عطش ، ولا قاذورات ولا أوساخ ، فلماذا يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولماذا يطيبون ويمتشطون ؟ .

أجاب القرطبي في التذكرة عن هذا السؤال قائلا[1]: « نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ، ولا شربهم عن ظمأ ، ولا تطيبهم عن نتن ، وإنما هي لذات متوالية ، ونعم متتابعة ، ألا ترى قوله تعالى لآدم : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[2] . وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا ، وزادهم على ذلك مالا يعلمه إلا الله عز وجل » .

المطلب الخامس
آنية طعام أهل الجنة وشرابهم

آنية طعام أهل الجنة ، التي يأكلون ويشربون بها من الذهب والفضة ، قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[2] ، أي وأكواب من ذهب ، وقال : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[3] أي اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة .

---

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٧٥ ، وانظر فتح الباري : (٦/٣٢٥) .

(٢) سورة الزخرف : ٧١ .

(٣) سورة الإنسان : ١٥ .

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة . . . وجنتان من فضة[1] ، آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما »[2] .

ومن الآنية التي يشربون بها الأكواب والأباريق والكؤوس ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[3] والكوب : مالا أذن له ولا عروة ولا خرطوم ، والأباريق : ذوات الآذان والعرا ، والكأس القدح الذي فيه الشراب .

---

(١) أي : وللمؤمن جنتان .

(٢) مشكاة المصابيح : (٨٦/٣) .

(٣) سورة الواقعة : ١٧ .

المبحث الثالث

لباس أهل الجنة وحليهم ومباخرهم

أهل الجنة يلبسون فيها الفاخر من اللباس ، ويتزينون فيها بأنواع الحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ ، فمن لباسهم الحرير ، ومن حلاهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ : قال تعالى : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[1] ، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ، ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] ، ﴿ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[4] ، وملابسهم ذات ألوان ، ومن ألوان الثياب التي يلبسون الخضر من السندس والاستبرق ، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[5] ، ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[6] . ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان ، فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « أتي الرسول ﷺ بثوب من حرير ، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه ، فقال رسول الله ﷺ : « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا »[7] .

---

(١) سورة الإنسان : ١٢ .

(٢) سورة الحج : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر : ٣٣ .

(٤) سورة الإنسان : ٢١ .

(٥) سورة الكهف : ٣١ .

(٦) سورة الإنسان : ٢١ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة والنار ، فتح الباري (٣١٩/٦) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن لأهل الجنة أمشاطاً من الذهب والفضة ، وأنهم يتبخرون بعود الطيب ، مع أن روائح المسك تفوح من أبدانهم الزاكية ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ في صفة الذين يدخلون الجنة : « آنيتهم الذهب والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألوَّه ـ قال أبو اليمان : عود الطيب ـ ورشحهم المسك »[1] .

ومن حليهم التيجان ، ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ في ذكر الخصال التي يُعطاها الشهيد : « ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها »[2] .

وثياب أهل الجنة وحليهم لا تبلى ولا تفنى ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه »[3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مشكاة المصابيح : (٣٥٨/٣) ، ورقمه : ٣٨٣٤ ، وصحح الشيخ ناصر إسناده .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في دوام نعيم الجنة ، (٢١٨١/٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٣٦ .

المبحث الرابع

فرش أهل الجنة

أعدت قصور الجنة ، وأماكن الجلوس في حدائقها وبساتينها بألوان فاخرة رائعة من الفرش للجلوس والاتكاء ونحو ذلك ، فالسرر كثيرة راقية والفرش عظيمة القدر بطائنها من الاستبرق ، فما بالك بظاهرها ، وهناك ترى النمارق مصفوفة على نحو يسر الخاطر ، ويبهج النفس ، والزرابي مبثوثة على شكل منسق متكامل ، قال تعالى :﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[1]، ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[2] ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[3] ، ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾[4] واتكاؤهم عليها على هذا النحو نوع من النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة حين يجتمعون كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[5] ، وقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[6] ، ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾[7] والمراد بالنمارق: المخادّ والوسائد المساند ، والزرابي : البسط والعبقرى : البسط الجياد . والرفرف : رياض الجنة . وقيل نوع من الثياب ، والأرائك : السرر .

---

(١) سورة الغاشية : ١٣ ـ ١٦ .
(٢) سورة الرحمن : ٥٤ .
(٣) سورة الطور : ٢٠ .
(٤) سورة الواقعة : ١٣ ـ ١٦ .
(٥) سورة الحجر : ٤٧ .
(٦) سورة الرحمن : ٧٦ .
(٧) سورة الكهف : ٣١ .

المبحث الخامس
خدم أهل الجنة

يخدم أهل الجنة ولدان ينشئهم الله لخدمتهم ، يكونون في غاية الجمال والكمال ، كما قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، وقال في موضع آخر : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة (مخلدون) أي على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ، ومن فسرهم بأنهم مخرصون،في آذانهم الأقرطة،فإنما عبر عن المعنى ، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى:﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[3] ، أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا ، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن »[4] .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هؤلاء الولدان هم الذين يموتون صغارا

---

(١) سورة الواقعة : ١٧ ـ ١٨ .
(٢) سورة الإنسان : ١٩ .
(٣) سورة الإنسان : ١٩ .
(٤) تفسير ابن كثير : (١٨٤/٧) .

من أبناء المؤمنين أو المشركين ، وقد رد العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا القول ، وبين أن الولدان المخلدون هم خلق من خلق الجنة قال : « والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة : خلق من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا ، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة ، على صورة أبيهم آدم »[1] .

---

(١) مجموع الفتاوي : (٤/ ٢٧٩) ، وانظر (٤/ ٣١١) .

المبحث السادس
شوق أهل الجنة

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لسوقا ، يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا »[١] .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : « المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة ، أي في مقدار كل جمعة ، أي أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع ، لفقد الشمس والليل والنهار ، . . . وخص ريح الجنة بالشمال ، لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشام ، وبها يأتي سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة ، أي المحركة ، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها »[٢] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في سوق الجنة ، (٤/٢١٧٨) ، ورقمه : ٢٨٣٣ .
(٢) النووي على مسلم : (١٧/ ١٧٠) .

• المبحث السابع
اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم

أهل الجنة يزور بعضهم بعضا ، ويجتمعون في مجالس طيبة يتحدثون ، ويذكرون ما كان منهم في الدنيا ، وما منَّ الله به عليهم من دخول الجنان ، قال تعالى في وصف اجتماع أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1] وأخبرنا الله بلون من ألوان الأحاديث التي يتحدثون بها في مجتمعاتهم ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[2]، ومن ذلك تذكرهم أهل الشر الذين كانوا يشككون أهل الإيمان ، ويدعونهم إلى الكفران ، ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الحجر : ٤٧ .

(٢) سورة الطور : ٢٥ .

(٣) سورة الصافات : ٥٠ ـ ٦١ .

المبحث الثامن
أماني أهل الجنة

يتمنى بعض أهل الجنة فيها أماني تتحقق على نحوعجيب ، لا تشبه حال ما يحدث في الدنيا ، وقد حدثنا الرسول ﷺ عن بعض هذه الأماني وكيفية تحققها .

فهذا واحد من أهل الجنة يستأذن ربه في الزرع ، فيأذن له ، فما يكاد يلقي البذر ، حتى يضرب بجذوره في الأرض ، ثم ينمو ، ويكتمل ، وينضج في نفس الوقت ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتحدث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ : « إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربّه في الزرع ، فقال له : ألست فيما شئت[1] ؟ قال : بلى ، ولكن أحب الزرع ، فبذر، فبادر الطرف نباته[2] واستواؤه ، واستحصاده ، فكان أمثال الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء » فقال الأعرابي : « والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، وأمّا نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ »[3] .

وهذا آخر يتمنى الولد ، فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة ، حيث تحمل وتضع في ساعة واحدة .

---

(١) أي فيما شئت من أنواع النعيم وألوان الطعام والشراب .
(٢) سابق النظر .
(٣) مشكاة المصابيح : (٣/٩٥) ، ورقم الحديث : ٥٦٥٣ .

وروى الترمذي في سننه ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه بإسناد صحيح عن أبي سعيد ؛ أن النبي ﷺ قال : « المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي »[1] .

---

(١) صحيح الجامع (٦/٥) ، ورقم الحديث : ٦٥٢٥ .

المبحث التاسع
نساء أهل الجنة

المطلب الأول
زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة إذا كانت مؤمنة

إذا دخل المؤمن الجنة ، فإن كانت زوجته صالحة ، فإنها تكون زوجته في الجنة أيضا ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾[1] ، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج ، يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[2] ، ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[3] .

المطلب الثاني
المرأة لآخر أزواجها

روى أبو علي الحراني في « تاريخ الرقة » عن ميمون بن مهران قال : خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أم الدرداء ، فأبت أن تزوجه ، وقالت :

---

(١) سورة الرعد : ٢٣ .

(٢) سورة يس : ٥٦ .

(٣) سورة الزخرف : ٧٠ .

سمعت أن أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « المرأة في آخر أزواجها ، أو قال : لآخر أزواجها » ورجال هذا الإسناد موثقون غير العباس بن صالح فليس له ترجمة ، ورواه أبو الشيخ في التاريخ بإسناد صحيح مقتصرا منه على المرفوع ، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد ضعيف ، ولكنه بمجموع الطريقين قوي ، والمرفوع منه صحيح ، وله شاهدان موقوفان : الأول يرويه ابن عساكر عن عكرمة « أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديدا عليها ، فأتت أباها ، فشكت ذلك إليه ، فقال : يا بنية اصبري ، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ، ثم مات عنها ، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة » .

ورجاله ثقات إلا أن فيه إرسالا لأن عكرمة لم يدرك أبا بكر إلا أن يكون تلقاه عن أسماء .

والآخر أخرجه البيهقي في السنن أن حذيفة قال لزوجته : « إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة ، فلا تزوجي بعدي ، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا»[1] ، فلذلك حرّم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن من بعده ، لأنهن أزواجه في الآخرة .

المطلب الثالث
الحور العين

يزوجهم الله في الجنة بزوجات جميلات غير زوجاتهم اللواتي في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[2] . والحور : جمع حوراء ، وهي

(١) هذا التحقيق أخذناه بشيء من الاختصار من « سلسلة الأحاديث الصحيحة » للشيخ ناصر : (٢٧٥/٣) ورقم الحديث : ١٢٨١ .
(٢) سورة الدخان : ٥٤ .

التي يكون بياض عينها شديد البياض ، وسواده شديد السواد . والعين : جمع عيناء ، والعيناء هي واسعة العين .

وقد وصف القرآن الحور العين بأنهن كواعب أتراب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[1] . والكاعب : المرأة الجميلة التي برز ثدياها ، والأتراب المتقاربات في السن . والحور العين من خلق الله في الجنة ، أنشأهن الله إنشاءً فجعلهنَّ أبكارا ، عربا أترابا ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[2] وكونهن أبكارا يقضي أنه لم ينكحهن قبلهم أحد ، كما قال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[3] ، وهذا ينفي قول من قال: إن المراد بالزوجات اللواتي ينشئهن الله في الجنة زوجاتهم في الدنيا إذ يعيدهنَّ شبابا بعد الكهولة والهرم ، وهذا المعنى صحيح ، فالله يدخل المؤمنات الجنة في سن الشباب ، ولكنهن لَسْنَ الحور العين اللواتي ينشئهن الله إنشاءً .

والمراد بالْعُرُب: الغنجات المتحببات لأزواجهنّ .

وقد حدثنا القرآن عن جمال نساء الجنة فقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾[4] والمراد بالمكنون : المخفي المصان ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ، ولا عبث الأيدي ، وشبههن في موضع آخر بالياقوت والمرجان ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[5] والياقوت والمرجان حجران كريمان فيهما جمال ، ولهما منظر حسن بديع ، وقد وصف الحور بأنهن قاصرات الطرف ، وهن

---

(١) سورة النبأ : ٣١ ـ ٣٣ .
(٢) سورة الواقعة : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٣) سورة الرحمن : ٥٦ .
(٤) سورة الواقعة : ٢٢ .
(٥) سورة الرحمن : ٥٦ ـ ٥٨ .

اللواتي قصرن بصرهن على أزواجهن ، فلم تطمح أنظارهن لغير أزواجهنّ ، وقد شهد الله لحور الجنة بالحسن والجمال ، وحسبك أنّ الله شهد بهذا ليكون قد بلغ غاية الحسن والجمال ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[1]

ونساء الجنة لسن كنساء الدنيا ، فإنهن مطهرات من الحيض والنفاس ، والبصاق والمخاط والبول والغائط ، وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن جمال نساء أهل الجنة ، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوه ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن »[3] .

وانظر إلى هذا الجمال الذي يحدث عنه الرسول ﷺ هل تجد له نظيرا مما تعرف ؟ « ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » رواه البخاري[4] .

---

(١) سورة الرحمن : ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٦/٣١٨) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة : (٤/٢١٧٨) ، ورقمه : ٢٨٣٤ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب وزوجناهم بحور عين ، فتح الباري (٦/١٥) ، والنصيف : الخمار .

وتحديد عدد زوجات كل شخص في الجنة باثنين يبدو أنه أقل عدد ، وإلا فقد ورد أن الشهيد يزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ففي سنن الترمذي وسنن ابن ماجه . بإسناد صحيح عن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ثلاث خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه »[1] .

غناء الحور العين

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الحور العين في الجنان يغنين بأصوات جميلة عذبة ، ففي معجم « الطبراني الأوسط » بإسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهنَّ بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط . إن مما يغنين : نحن الخيِّرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرن بقرة أعيان . وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا يَمُتْنَه ، نحن الآمنات فلا يخفنه ، نحن المقيمات فلا يظعنَّه »[2] .

وروى سمويه في « فوائده » عن أنس ، عن رسول الله ﷺ : « إن الحور العين لتغنين في الجنة ، يقلن : نحن الحور الحسان ، خبئنا لأزواج كرام »[3] .

---

(١) مشكاة المصابيح : (٣٥٨/٣) ، ورقمه : ٣٨٣٤ .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٤٨/٢) ، ورقم الحديث : ١٥٥٧ ، وعزاه الشيخ ناصر أيضا إلى الطبراني في الأوسط ، وإلى أبي نعيم ، والضياء في صفة الجنة .

(٣) صحيح الجامع : (٥٨/٢) ، ورقمه : ١٥٩٨ .

غيرة الحور العين على أزواجهنَّ في الدنيا

أخبرنا الرسول ﷺ أن الحور العين يغرن على أزواجهن في الدنيا إذا آذى الواحدَ زوجتُه في الدنيا ، ففي مسند أحمد ، وسنن الترمذي بإسناد صحيح عن معاذ عن رسول الله ﷺ قال : « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك ، يوشك أن يفارقك إلينا »[1] .

المطلب الرابع
يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل

عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » . قيل : يا رسول الله ، أو يطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة رجل » رواه الترمذي[2] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٢٥/٦) ، ورقم الحديث : ٧٠٦٩ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٩٠/٣) ورقمه : ٥٦٣٦ ، وقال محقق المشكاة : « قال الترمذي : حديث صحيح غريب » قلت (المحقق) : وإسناده حسن ، بل هو صحيح ، لأن له شواهد منها عن زيد ابن أرقم عند الدارمي بسند صحيح » .

المَبحَث العَاشر

ضحك أهل الجنة من النار

بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين ومؤنبين ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1] ، لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ، ويسخرون منهم ، ويهزأون بهم ، وفي ذلك اليوم ينتصر المؤمنون ، فإذا بهم وهم في النعيم المقيم ، ينظرون إلى المجرمين فيسخرون منهم ويهزؤون بهم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2]

نعم ، والله لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون ، والجزاء من جنس العمل ، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له

---

(١) سورة الأعراف : ٤٤ .

(٢) سورة المطففين : ٢٢ ـ ٣٦ .

الكفر في الدنيا ، وكان يدعوه إلى تلك المبادىء الضالة التي تجعله في صف الكافرين أعداء الله ، فَيحدّث اخوانه عن ذلك القرين ، ويدعوهم للنظر إليه في مقره الذي يعذب فيه ، فعندما يرى ما يعانيه من العذاب ـ يعلم مدى نعمة الله عليه ، وكيف خلصه من حاله ، ثم يتوجه إليه باللوم والتأنيب ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

---

(١) سور الصافات : ٥٠ ـ ٦٠ .

المبحث الحادي عشر
التسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة

الجنة دار جزاء وإنعام ، لا دار تكليف واختبار ، وقد يشكل على هذا ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ في صفة أول زمرة تدخل الجنة ، قال في آخره « **يسبحون الله بكرة وعشياً** »[1] ، ولا اشكال في ذلك إن شاء الله تعالى ، لأن هذا ليس من باب التكليف ، قال ابن حجر في شرحه للحديث : «قال القرطبي : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام ! ، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله : « يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس » ، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ، ولا بدَّ منه ، فجعل تنفسهم تسبيحا ، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه ، وامتلأت بحبه ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره »[2] .

وقد قرر شيخ الإسلام أن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة ، قال : « هذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به »[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .
(٢) فتح الباري : (٣٢٦/٦) .
(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٣٠/٤) .

المبحث الثاني عشر

أفضل ما يعطاه أهل الجنة رضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله في يديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » ، متفق عليه[1] . **وأعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، يقول ابن الأثير : « رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة ، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة ، بلّغنا الله منها ما نرجو »**[2] .

وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم في جنات النعيم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3] ، والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم ، والتكرمة الباهرة ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[4] ، وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن صهيب الرومي رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك

---

(١) مشكاة المصابيح : (٨٨/٣) .

(٢) جامع الأصول : (٥٥٧/١٠) .

(٣) سورة االقيامة : ٢٣ .

(٤) سورة المطففين : ١٥ .

وتعالى » ، زاد في رواية : « ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] »[2] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ـ وفي رواية طولها ـ ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[3] .

والنظر إلى وجه الله تعالى من المزيد الذي وعد الله به المحسنين ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[4] ، ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[5] ، وقد فسرت الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، ويشير إلى هذا الحديث الذي رواه مسلم وذكرناه في صدر هذا الفصل .

ورؤية الله رؤية حقيقية ، لا كما تزعم بعض الفرق التي نفت رؤية الله تعالى بمقاييس عقلية باطلة ، وتحريفات لفظية جائرة ، وقد سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[6] ، فقيل : إن قوما يقولون : إلى ثوابه . فقال مالك : كذبوا ، فأين هم عن قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[7]؟ قال مالك : الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة

---

(١) سورة يونس : ٢٦ .
(٢) جامع الأصول : (١٠/ ٥٦٠) .
(٣) مشكاة المصابيح ، (١٠/ ٨٦) ، ورقمه : ٥٦١٦ .
(٤) سورة ق : ٣٥ .
(٥) سورة يونس : ٢٦ .
(٦) سورة القيامة : ٢٣ .
(٧) سورة المطففين : ١٥ .

بأعينهم ، وقال : لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة ، لم يعبر الله عن الكفار بالحجاب ، فقال : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] ، رواه في « شرح السنة »[2] .

ومن الذين نصوا على رؤية المؤمنين ربهم في الجنات الطحاوي في العقيدة المشهورة باسم « العقيدة الطحاوية » ، قال : « والرؤية حق لأهل الجنة ، بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3] ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ . ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه »[4] .

وقال شارح الطحاوية مبينا مذاهب الفرق الضالة في هذه المسألة ومذهب أهل الحق :

« المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية . وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة .وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وأهل الحديث ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة » .

---

(١) سورة المطففين : ١٥ .
(٢) مشكاة المصابيح : (٣/١٠٠) ، ورقمه ٥٦٦٣ .
(٣) سورة القيامة ٢٢ ـ ٢٣ .
(٤) شرح الطحاوية : ٢٠٣ .

ثم بين أهمية هذه المسألة فقال :

« وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرُّون ، وتنافس المتنافسون ، وحُرِمَهَا الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مردودون» .

ثم بين أن قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] . من أظهر الأدلة على هذه المسألة ، وأمّا الذين أبَوْا إلا تحريفها بما يسمونه تأويلاً : فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب ، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل. ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص .

وبين خطورة التأويل : « وهذا الذي أفسد الدنيا والدين. وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم . وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قُتِلَ عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد ؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل » وصفين ، ومقتل الحسين ، والحرة ؟ وهل خرجت الخوارج ، واعتزلت المعتزلة ، ورفضت الروافض ، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد » !؟

ثم بين أن دلالة الآية على الرؤية من جانبين : الأول فقه النص. والثاني : فقه علماء السلف لهذا النص . ففي الأول قال :

«واضافة النظر إلى الوجه ، الذي هو محله ، في هذه الآية ، وتعديته بأداة

(١) سورة القيامة : ٢٢ .

«إلى» الصريحة في نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه - حقيقية موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله .

فإن النظر له عدة استعمالات ، بحسب صلاته وتعديه بنفسه : فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والانتظار : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[1] . وإن عدي بـ «في» ، فمعناه : التفكر والاعتبار ، كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] . وإن عدي بـ «إلى» فمعناه : المعاينة بالأبصار ، كقوله تعالى : ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾[3] . فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ وساق في الثاني عدة نصوص عن السلف تبين فقههم للآية ، فعن «الحسن قال : نَظَرَتْ إلى ربها فنضرت بنوره ، وقال أبوصالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4] . قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل . وقال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[5] . قال : من النعيم ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[6] ، قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث . وقال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[7] . قال الطبري : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل .

---

(١) سورة الحديد : ١٣

(٢) سورة الأعراف : ١٨٥

(٣) سورة الأنعام : ٩٩

(٤) سورةالقيامة : ٢٣

(٥) سورة القيامة : ٢٢

(٦) سورة القيامة : ٢٣

(٧) سورة ق : ٣٥

ثم ذكر معنى الزيادة في قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] ، وأنها النظر إلى وجه الله الكريم وساق في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب ، قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] ، قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عندالله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويبيِّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة» . ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر ، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل . وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم . روى ابن جرير ذلك عن جماعة ، منهم : أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وحذيفة ، وأبوموسى الأشعري ، وابن عباس ، رضي الله عنهم .

ومن الأدلة على هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[2] . وذكر المصنف أن الشافعي -رحمه الله- وغيره من الأئمة احتجوا بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي ، وقال الحاكم : حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[3] . فقال الشافعي : لما أن حُجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى .

---

(١) سورة يونس : ٢٦
(٢) سورة المطففين : ١٥
(٣) سورة المطففين : ١٥

ثم تعرض لاستدلال المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾[1] . وبقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[2] ، وذكر أن الآيتين دليل عليهم ، فالآية الأولى : تدل على ثبوت رؤيته من وجوه :

أحدهـا : أنه لايظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل مالا يجوز عليه ، بل هو عندهم من أعظم المحال .

الثاني : أن الله لم ينكر عليه سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله ، وقال : ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3] .

الثالث : أنه تعالى قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ، ولم يقل : إني لا أرى ، أو لا تجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي . والفرق بين الجوابين ظاهر . ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاماً صح أن يقال : إنك لن تأكله . وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار ، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الرابع : يوضح الوجه الثالث قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾[4] . فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار ، فكيف بالبشر الذي خُلق من ضعف ؟

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً ، وذلك ممكن ، وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام . والكل عندهم سواء .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٣

(٣) سورة هود : ٤٦

(٤) سورة الأعراف : ١٤٣ .

السادس : قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾[1]، فاذا جاز أن يتجلى للجبل ، الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار ، فالبشر أضعف .

السابع : أن الله كلم موسى ، وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة ، فرؤيته أولى بالجواز . ولهذا لا يتم إنكار رؤيته الا بإنكار كلامه ، وقد جمعوا بينهما . ثم أجاب على دعواهم أن «لن» تفيد التأبيد وتدّل على نفس الرؤية في الآخرة ، وبيّن الشيخ أنها لو قيدت بالتأبيد فلا تدل على دوام النفي في الآخرة ، فكيف إذا أطلقت ؟ ولهذا نظائر في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[2] ، مع قوله : ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[3] . ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها ، وقد جاء ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾[4] . فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد .

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

وأما الآية الثانية : فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف ، وهو : أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون

(١) سورة الأعراف : ١٤٣
(٢) سورة البقرة : ٩٥
(٣) سورة الزخرف : ٧٧
(٤) سورة يوسف : ٨٠

بالصفات الثبوتية ، أما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به ، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجوديًا ، كمدحه بنفي السِّنة والنوم ، المتضمن كمال القيُّومية ، وفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والاعياء ، المتضمن كمال القدرة ، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير ، المتضمن كمال صمديته وغناه ، ونفي الظلم ، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه ، المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المثل ، المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً ، فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فإن المعنى : إنه يُرى ولا يُدرك ولا يحاط به ، فقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[1] يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن (الإدراك) هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾[2] . فلم ينف موسى الرؤية ، وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية ، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه .

ثم ذكر الشيخ أن «الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه ، الدالة على الرؤية متواترة ، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن . فمنها : حديث أبي هريرة : « أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٣

(٢) سورة الشعراء : ٦٢

الله ﷺ : هل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا ، قال فإنكم ترونه كذلك» ، الحديث ، أخرجاه في «الصحيحين» بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في «الصحيحين» نظيره. وحديث جرير بن عبدالله البجلي ، قال : «كنا جلوساً مع النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال : انكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته» ، الحديث أخرجاه في «الصحيحين». وحديث صهيب المتقدم ، رواه مسلم وغيره. وحديث أبي موسى عن النبي ﷺ ، قال : «وجنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» ، أخرجاه في «الصحيحين» . ومن حديث عدي بن حاتم : «ولَيَلْقَينّ الله أحدُكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول : بلى يارب»[1] . أخرجه البخاري في «صحيحه» .

(١) راجع شرح الطحاوية : ص ٢٠٤ ـ ٢١٠

المبحث الثالث عشر

الفوز بنعيم الجنة لا يستلزم ترك متاع الدنيا

ظن الرهبان وكثير من عباد هذه الأمة أن نعيم الآخرة لا يمكن أن ينال إلا إذا رفض العبد طيبات الدنيا وملاذها ، ولذلك ترى هؤلاء يعذبون أجسادهم ، ويَشُقُّون على أنفسهم فيديمون الصيام والقيام ، وقد يحرِّم بعضهم الطيبات من الطعام والشراب واللباس ، وقد يتركون العمل والزواج وهذه فكرة خاطئة ، فإن الله خلق الطيبات للمؤمنين ، وذم من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1] .

والدنيا تـذم إذا كانت شاغلا عن الآخرة ، أمّا إذا جعلها العبد معبرا ومدخلا لنيل الآخرة فالأمر ليس كما يظن بعض الناس .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

المبحث الرابع عشر

آخر دعواهم

يمر المؤمنون في الموقف العظيم بأهوال عظام ، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولا ورعبا ، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن ، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام ، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه ، فقد أذهب عنهم الحزن ، وصدقهم وعده ، وأورثهم الجنة ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[1] . ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[2] ، وآخر دعواهم في الجنات النعيم : الحمد لله رب العالمين ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة فاطر : ٣٣ ـ ٣٤

(٢) سورة الزمر : ٧٤

(٣) سورة يونس : ١٠

الفصل السابع

المحاجة بين الجنة والنار

أخبرنا رسولنا ﷺ أن الجنة والنار تحاجتا عند ربهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : فمالي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ - زاد في رواية : وغرتهم - فقال الله عز وجل للجنة : أنْت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي ،أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار : فلا تمتلىء حتى يضع رجله - وفي رواية : حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله - فتقول : قط قط قط ، فهنالك تمتلىء ، ويزوي بعضها إلى بعض ، ولايظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقا » أخرجه البخاري ومسلم .

وللبخاري قال : « اختصمت الجنة والنار (إلى ربهما) ، فقالت الجنة : يارب مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار[1] فقال (الله)

---

(١) قال محقق جامع الأصول : كذا في الأصول المخطوطة . وفي النسخ المطبوعة : يعني : أوثرت بالمتكبرين ، قال الحافظ في « الفتح » : كذا وقع هنا مختصرا ، قال ابن بطال : سقط قول النار هنا من جميع النسخ ، وهو محفوظ في الحديث وأنظر « الفتح » (١٣/ ٤٣٤) .

للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنت عذابي أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما الجنة ، فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا ، وإنه ينشيء للنار[١] من يشاء ، فيلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ويلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فيها ، فتمتليء ، ويزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قط قط قط » .

وله في أخرى : ـ وكان كثيرا ما يقفه أبو سفيان الحميري ، أحد رواته ، قال : « يقال لجهنم ، هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ فيضع الرب قدمه عليها ، فتقول : قط قط » .

ولمسلم بنحو الأولى ، وانتهى عند قوله : « ولكل واحدة منهما ملؤها » .
وقال في رواية: «فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم[٢] وغرتهم ؟ » وفي آخره : « فأما النار ، فلا تمتليء حتى يضع قدمه عليها ، فهنالك تمتليء ، ويزوي بعضها إلى بعض » وأخرجه الترمذي نحو الأولى[٣] .[٤]

---

(١) جزم غير واحد من أهل العلم أن هذا خطأ من بعض الرواة ، وصوابه ينشيء للجنة .

(٢) السُّقْط : المزدرى به ، ومنه السُّقط : لرديء المتاع . وغرتهم : الغرّ الذي لم يجرب الأمور ، فهو قليل الشر منقاد .

(٣) رواه البخاري (٨/٤٥٨) في تفسير سورة (ق) ، باب قوله تعالى : ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ ، وفي التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ ، ومسلم رقم ٢٨٤٦ في الجنة،باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، والترمذي رقم ٢٥٦٤ في صفة الجنة ، باب ما جاء في إحتجاج الجنة والنار .

(٤) جامع الأصول : ١٠/٥٤٤ ـ ٥٤٧ .

المراجـع
مرتبة على حروف المعجم

١ ــ التخويف من النار والتعريف بدار أهل البوار . للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي . المكتبة العلمية . بيروت .

٢ ــ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي . طبعة المكتبة السلفية . المدينة المنورة .

٣ ــ الترغيب والترهيب للمنذري . طبعة المكتبة التجارية . القاهرة . الأولى .

٤ ــ تفسير ابن كثير . طبعة دار الأندلس ـ بيروت ـ الطبعة الأولى . ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦

٥ ــ تفسير ابن جرير الطبري . الطبعة الثانية ١٩٧٣ ـ ١٩٥٤ . طبعة مصطفى البابي الحلبي .

٦ ــ تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني . طبعة المكتبة العلمية . المدينة المنورة .

٧ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير . تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط نشر مكتبة الحلواني ومكتبة الملاح . الطبعة الأولى ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ .

٨ ــ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار . للصنعاني . تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني طبع المكتب الاسلامي . بيروت .

٩ ــ سنن ابن ماجه . طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢ .

١٠ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي . بيروت الطبعة الأولى .

١١ ــ شرح العقيدة الطحاوية ، لمحمد بن محمد بن أبي العزالحنفي . نشر المكتب الاسلامي بيروت . الطبعة الرابعة . ١٣٩١هـ .

١٢ ــ شرح النووي على مسلم للنووي . طبعة المكتبة العصرية . القاهرة .

١٣ ــ صحيح البخاري . اعتمدنا على متن فتح الباري . طبعة السلفية ـ القاهرة . الطبعة الأولى .

١٤ ــ صحيح الجامع الصغير . للسيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . نشر المكتب الاسلامي . بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨ ـ ١٩٦٩ .

١٥ ــ صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . طبعة دار إحياء الكتب العربية . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

١٦ ــ فتح الباري . لابن حجر العسقلاني . طبعة المكتبة السلفية . القاهرة . الطبعة الأولى .

١٧ ــ لوامع الأنوار البهيَّة للسفاريني طبعة دولة قطر . الطبعة الأولى .

١٨ ــ مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية. جمع ابن قاسم. طبعة دولة المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى .

١٩ ــ مراتب الاجماع لابن حزم . طبعة المكتبة العلمية بيروت .

٢٠ ــ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي طبعة المكتب الاسلامي دمشق الطبعة الأولى . ١٣٨١ ـ ١٩٦١

٢١ ــ نهاية البداية والنهاية لابن كثير . نشر مكتبة النهضة الحديثة . الرياض. الطبعة الأولى ١٩٦٨ .

٢٢ ــ يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر الجنة والنار ، لصديق حسن خان . طبعة دار الأنصار . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٣٩٨هـ ١٩٧١م .

٢٣ ــ اليوم الآخر في ظلال القرآن جمع وإعداد أحمد فائز. طبعة مؤسسة الرسالة . دمشق . الطبعة السابعة . ١٤٠٥ ـ ١٩٨٤ .

الفهرس

تمهيد: تعريف وبيان ١١

الفصل الأول الجنة والنار مخلوقتان ١٣

شبهة من قال النار لم تخلق بعد ١٧

الفصل الثاني خزنة النار ١٩

الفصل الثالث صفة النار ٢١

المبحث الأول مكان النار ٢١

المبحث الثاني سعة النار وبعد قعرها ٢٢

المبحث الثالث دركات النار ٢٥

المبحث الرابع أبواب النار ٢٧

المبحث الخامس وقود النار ٣٠

المبحث السادس شدة حرها وعظم دخانها وشرارها ٣٢

المبحث السابع النار تتكلم وتبصر ٣٥

المبحث الثامن رؤيا ابن عمر للنار ٣٦

المبحث التاسع هل يرى أحد النار قبل يوم القيامة عياناً ٣٧

المبحث العاشر تأثير النار على الدنيا وأهلها ٣٩

الفصل الرابع النار خالدة لا تبيد ٤١

الفصل الخامس أهل النيران وجرائمهم ٤٩

المبحث الأول أهلها المخلدون فيها ٤٩

المطلب الأول : التعريف بهم........................ ٤٩
المطلب الثاني : النار مسكن الكفرة والمشركين ٥٢
المطلب الثالث : الدُّعاة إلى النار...................... ٥٢
المطلب الرابع : أعظم جرائم الخالدين في النار............... ٥٣
المطلب الخامس : جملة الجرائم التي تدخل النار ٥٧
المطلب السادس : أشخاص بأعيانهم في النار ٥٩
المطلب السابع : كفرة الجنِّ في النَّار.................... ٦٠
المبحث الثاني الذين لا يخلدون في النار............ ٦١
المطلب الأول : التعريف بهم........................ ٦١
المطلب الثاني : الذنوب المُتوعَّد عليها بالنار : ٦١
١ ـ الفرق المخالفة للسنة ٦١
٢ ـ الممتنعون من الهجرة ٦٤
٣ ـ الجائرون في الحكم ٦٤
٤ ـ الكذب على الرسول ﷺ ٦٥
٥ ـ الكبر ٦٦
٦ ـ قاتل النفس بغير حق ٦٦
٧ ـ أكلة الربا ٦٧
٨ ـ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ٦٨
٩ ـ المصورون ٦٨
١٠ ـ الركون إلى الظالمين ٦٩
١١ ـ الكاسيات العاريات والذين يجلدون ظهور الناس ٧٠
١٢ ـ الذين يعذبون الحيوان ٧٠
١٣ ـ عدم الإخلاص في طلب العلم ٧١

١٤ ــ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة ٧٢
١٥ ــ الذي يقطع السدر الذي يظل الناس ٧٢
١٦ ــ جزاء الانتحار ٧٢
الفصل السادس كثرة أهل النار ٧٥
المبحث الأول النصوص الدالة على ذلك ٧٥
المبحث الثاني السر في كثرة أهل النار ٨٠
المبحث الثالث أكثر من يدخل النار النساء ٨٣
الفصل السابع عظم خلق أهل النار ٨٥
الفصل الثامن طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم ٨٧
الفصل التاسع عذاب أهل النار ٩٣
المبحث الأول شدة ما يكابده أهل النار من عذاب ٩٣
المبحث الثاني صور من عذابهم ٩٥
المطلب الأول : تفاوت عذاب أهل النار ٩٥
المطلب الثاني : انضاج الجلود ٩٧
المطلب الثالث : الصهر ٩٨
المطلب الرابع : اللفح ٩٨
المطلب الخامس : السحب ٩٩
المطلب السادس : تسويد الوجوه ١٠٠
المطلب السابع : إحاطة النار بالكفار ١٠٠
المطلب الثامن : إطلاع النار على الأفئدة ١٠٢
المطلب التاسع : اندلاق الأمعاء في النار ١٠٣
المطلب العاشر : قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم ١٠٣
المطلب الحادي عشر : قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار ١٠٥

المطلب الثالث عشر : حسرتهم وندمهم ودعاؤهم ١٠٦
الفصل العاشر كيف يتقي الإنسان نار الله ١١١

الباب الثاني الجنة

تمهيد : تعريف وبيان ١١٧
الفصل الأول دخول الجنة ١١٩
المبحث الأول الشفاعة في دخول الجنة ١٢٠
المبحث الثاني تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل الدخول ... ١٢١
المبحث الثالث الأوائل في دخول الجنة ١٢٢
المبحث الرابع الذين يدخلون الجنة بغير حساب ١٢٣
المبحث الخامس الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة ١٢٦
المبحث السادس أول ثلاثة يدخلون الجنة ١٢٨
المبحث السابع دخول عصاة المؤمنين الجنة ١٢٩
المطلب الأول : إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة ١٢٩
المطلب الثاني : موقف الفرق من الشفاعة ١٣٢
المبحث الثامن آخر من يدخل الجنة ١٣٥
المبحث التاسع الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة ١٣٨
الفصل الثاني : الجنة خالدة وأهلها خالدون ١٤١
المبحث الأول النصوص الدالة على ذلك ١٤١
المبحث الثاني القائلون بفناء الجنة ١٤٣
الفصل الثالث صفة الجنة ١٤٧
المبحث الأول الجنة لا مثل لها ١٤٧
المبحث الثاني أبواب الجنة ١٥٠

المَبحث الثالث: درجات الجنة ١٥٤
المطلب الأول : الأدلة على أن الجنة درجات وأهلها فيها متفاوتون في الرفعة ١٥٤
المطلب الثاني : أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ١٦٠
المطلب الثالث : المنزلة العليا في الجنة ١٦١
المطلب الرابع : الذين ينزلون الدرجات العاليات ١٦٢
المَبحث الرابع تربة الجنة ١٦٤
المَبحث الخامس أنهار الجنة ١٦٥
المبحث السادس عيون الجنة ١٦٩
المَبحث السابع قصور الجنة وخيامها ١٧١
المَبحث الثامن نور الجنة ١٧٤
المَبحث التاسع ريح الجنة ١٧٥
المَبحث العاشر أشجار الجنة وثمارها ١٧٦
المطلب الأول : أشجارها وثمارها كثيرة متنوعة دائمة ١٧٦
المطلب الثاني : وصف بعض شجر الجنة ١٧٩
١ ــ الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ١٧٩
٢ ــ سدرة المنتهى ١٨٠
٣ ــ شجرة طوبى ١٨٠
المطلب الثالث : سيد ريحان الجنة ١٨١
المطلب الرابع : سيقان أشجار الجنة من ذهب ١٨٢
المطلب الخامس : كيف يُكَثِّر المؤمن حظه من أشجار الجنة ١٨٢
المبحث الحادي عشر دواب الجنة وطيورها ١٨٣
الفصل الرابع أصحاب الجنة ١٨٥
المَبحث الأول الأعمال التي استحقوا بها الجنة ١٨٥

المبحث الثاني طريق الجنة شاق ١٩٠
المبحث الثالث أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة ١٩٢
المبحث الرابع الضعفاء أكثر أهل الجنة ١٩٤
المبحث الخامس هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ ١٩٥
المبحث السادس الذين توفوا قبل التكليف ١٩٧
المطلب الأول : أطفال المؤمنين ١٩٧
المطلب الثاني : أطفال المشركين ٢٠٠
المبحث السابع مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة ٢٠٦
المبحث الثامن سادة أهل الجنة ٢٠٩
المطلب الأول : سيدا كهول أهل الجنة ٢٠٩
المطلب الثاني : سيدا شباب أهل الجنة ٢٠٩
المطلب الثالث : سيدات نساء أهل الجنة ٢١٠
المبحث التاسع العشرة المبشرون بالجنة ٢١٣
المبحث العاشر بعض من نص على أنهم في الجنة غير ذكر ٢١٤
١ ، ٢ ــ جعفر وحمزة ٢١٤
٣ ــ عبدالله بن سلام ٢١٥
٤ ــ زيد بن حارثة ٢١٥
٥ ــ زيد بن عمرو بن نفيل ٢١٥
٦ ــ حارثة بن النعمان ٢١٦
٧ ــ بلال بن أبي رباح ٢١٦
٨ ــ أبو الدحداح ٢١٦
٩ ــ ورقة بن نوفل ٢١٧
المبحث الحادي عشر الجنة ليست ثمناً للعمل ٢١٨

الفصل الخامس: صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها ٢٢١
الفصل السادس: نعيم أهل الجنة ٢٢٣
المبحث الأول: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا ٢٢٣
المبحث الثاني: طعام أهل الجنة وشرابهم ٢٢٩
المطلب الأول: خمر أهل الجنة ٢٣٠
المطلب الثاني: أول طعام أهل الجنة ٢٣١
المطلب الثالث: طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه ٢٣٢
المطلب الرابع: لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون ٢٣٤
المطلب الخامس: آنية طعام أهل الجنة وشرابهم ٢٣٤
المبحث الثالث: لباس أهل الجنة وحليهم ومباخرهم ٢٣٦
المبحث الرابع: فرش أهل الجنة ٢٣٨
المبحث الخامس: خدم أهل الجنة ٢٣٩
المبحث السادس: شوق أهل الجنة ٢٤١
المبحث السابع: اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم ٢٤٢
المبحث الثامن: أماني أهل الجنة ٢٤٣
المبحث التاسع: نساء أهل الجنة ٢٤٥
المطلب الأول: زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة إذا كانت مؤمنة ٢٤٥
المطلب الثاني: المرأة لآخر أزواجها ٢٤٥
المطلب الثالث: الحور العين ٢٤٦
المطلب الرابع: يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل ٢٥٠
المبحث العاشر: ضحك أهل الجنة من النار ٢٥١
المبحث الحادي عشر: التسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة ٢٥٣
المبحث الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة
رضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم ٢٥٤

المبحث الثالث عشر. الفوز بنعيم الجنة لا يستلزم ترك متاع الدنيا ٢٦٤
المبحث الرابع عشر آخر دعواهم ٢٦٥
الفصل السابع المحاجة بين الجنة والنار ٢٦٦

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ــ العقيدة في الله	الطبعة الخامسة
٢ ــ عالم الملائكة الأبرار	الطبعة الرابعة
٣ ــ عالم الجن والشياطين	الطبعة الرابعة
٤ ــ معالم الشخصية الإسلامية	الطبعة الرابعة
٥ ــ الرسل والرسالات	الطبعة الرابعة
٦ ــ المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء التقدم	الطبعة الثالثة
٧ ــ الصوم في ضوء الكتاب والسنة	الطبعة الثالثة
٨ ــ أصل الاعتقاد	الطبعة الثالثة
٩ ــ مواقف ذات عبر	الطبعة الثانية
١٠ ــ مقاصد المكلفين « النيات في العبادات »	الطبعة الأولى
١١ ــ القياس بين مؤيديه ومعارضيه	الطبعة الأولى
١٢ ــ ثلاث شعائر	الطبعة الثالثة
١٣ ــ جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة	الطبعة الأولى
١٤ ــ خصائص الشريعة الاسلامية	الطبعة الأولى
١٥ ــ تاريخ الفقه الاسلامي	الطبعة الأولى
١٦ ــ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية	الطبعة الثانية
١٧ ــ نحو ثقافة إسلامية أصيلة	الطبعة الأولى
١٨ ــ سلسلة محاضرات إسلامية	الطبعة الأولى
١٩ ــ القيامة الصغرى وأشراط القيامة الكبرى	الطبعة الأولى
٢٠ ــ القيامة الكبرى	الطبعة الأولى
٢١ ــ الجنة والنار	الطبعة الأولى

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية ـ عمان
١٩٩٠/١٠/٧٠٢

يُطلب هذا الكتاب في
المملكة العربية السعودية
من
دار الهجرة للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٠٥٩٧ الثقبة ٣١٩٥٢ الخبر
تلفون فاكس: ٨٩٨٢٠٠٤ تلفون الرياض: ٤٧٩٢٠٥٥

